

مجلة جامعة

تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع

أيُّها القرَّاء الكرام

نرحِّب بكلِّ مقالٍ علميٍّ مفيد

ونسعَد بكلِّ نَقْدٍ هادفٍ سديدٍ.

فمجلة «**الإصلاح**»

وسيلة لنشر العلم النَّافع

العنوان:

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

حي دوزي، قطعة (01)، رقم (06) باب الزوار ـ الجزائر

الهاتف والفاكس: 63 94 51 (021)

المراسلات:

ص ب 22 مكرر ـ 16027 ـ الجزائر

darelfadhila@maktoob.com

التوزيع:

جوال: 523404 (070)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ بالله منْ شرورِ أنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

اقرأ في هذا العدد...

المقال	الكاتب	الصفحة
◈ طليعة العدد: **ضيف مبارك**	(التحرير)	٤
◈ في رحاب القرآن: **الصيام والتقوى**	(عمر حمرون)	٧
◈ من مشكاة السنة: **الفطر في السفر**	(محمد لوزاني)	١١
◈ التوحيد الخالص: **أثر الصيام في حياة المسلم**	(محمد تيقمونين)	١٨
◈ بحوث ودراسات: **حديث: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة»**	(د/ كمال قالمي)	٢٤
◈ مسائل منهجية: **رؤية هلال رمضان ووحدة الأمة الإسلامية**	(د/ رضا بوشامة)	٣٧
◈ تأملات في السيرة النبوية: **معالم النصر في غزوة بدر**	(عز الدين رمضاني)	٤٠
◈ تزكية النفوس: **أثر الصوم في تزكية النفوس وتهذيب السلوك**	(د/ عبد المجيد جمعة)	٤٦
التخلية قبل التحلية أبرز آثار الصيام	(لزهر سنيقرة)	٥٠
◈ فتاوى شرعية: **فتاوى في الصيام**	(د/ محمد علي فركوس)	٥٤
◈ أخبار التراث: **المنتقى من كتاب «أدب المحدِّث والمحدَّث» للأزدي**	(عمار تمالت)	٦١
◈ في واحة اللغة والأدب: **المقامة الرمضانية**	(محمد بوسلامة)	٦٩
أتى رمضان (قصيدة)	(عبد الهادي لعقاب)	٧٢
◈ قضايا الأسرة: **الأسرة في رمضان**	(وسيلة حماموش)	٧٥
◈ ألفاظ ومفاهيم في الميزان: **تنبيه الصائمين على عبارات خاطئة**	(عمر الحاج مسعود)	٨١
◈ الفوائد والنوادر:	(التحرير)	٨٦

ضيف مبارك

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فإنَّ الاحتفاء بالضَّيف والفرح بنزوله من شِيَم وخصال أهل الخير والعطاء؛ ولهذا عُدَّ من مكارم الأخلاق القيامُ على الضَّيف بالقرى، كما عُدَّ من مساوئها تفادي الضِّيافة والهروب منها، وعدم نشر الجفان إذا حلَّ الضِّيفان، وكانوا يقولون: المائدة مرزوقة ـ أي من كان مضيافا وسَّع الله عليه ـ هذا كلُّه في الضَّيف من بني الإنسان، فكيف إذا كان الضَّيف مُرسَلًا من الرَّحمن، قال ﷺ: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ...**» الحديث، فهو ضيفٌ من جنسٍ آخر غير جنس البشر، زمانٌ مخلوق، قد جعله الله جلَّ وعلا مزرعةً لعمل الصَّالحات، والتَّقرُّب من ربِّ البريَّات، فحرِيٌّ بكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يستبشر بقدومه، ويسعدَ لمجيئه، فإنَّ حُبَّ شعائر الدِّين وتعظيمَها من تقوى القلوب، قال جلَّ وعلا: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾**﴾ [الحج: ٣٢].

نعم؛ لقد جُبلت النَّفسُ على الميل إلى اللَّذَّة في كلِّ حين، وإلى اشتهاء صنوفٍ من النِّعم والمِنَن من طعامٍ وشراب ونحوهما، فأمَّا أقوياء الإيمان والعزيمة والإرادة فتراهم مستبشرين بهذا الضَّيف النَّازل عليهم، قد علموا أنَّ زمن الزَّرع قد حضر، فشمَّروا واجتهدوا وجاهدوا أنفسهم في جنب الله، لينالوا مرضاته ورضوانه، وأمَّا ضعفاء الإيمان والإرادة في الصَّوم، فتراهم وكأنَّهم يجرُّون إلى الخير بالسَّلاسل، ويساقون إلى البرِّ وهم كارهون!

إنَّ وجودَ كُلفةٍ في الأحكام الشَّرعية، وشيءٍ من المشقَّة فيها ـ كما هو الحال في صوم شهر رمضان ـ لا يمنع المرءَ من الاستمساك بالدِّين والاستقامة والثَّبات عليه، فإنَّ طبيعة التَّكاليف الشَّرعية أنَّ فيها تمحيصًا للخلق بالابتلاء، فالعبدُ مُمتَحَنٌ مبتلى بالأحكام الكونيَّة وبالأحكام الشَّرعية، قال جلَّ وعلا: ﴿**لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال: ﴿**لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ**﴾ [المائدة: ٩٤]، فيثبِّت اللهُ جلَّ وعلا أهلَ خاصَّته، ممَّن أعطى ولم يبخل، واتَّقى ولم يستغن، وصدَّق بالحسنى ولم يكَذِّب بها، فييسِّر الله جلَّ وعلا لهم هذه العبادات، ويعينهم على القيام بها على وجهها المطلوب شرعًا، وهؤلاء هم أهلُ اليقين، **وباليقين كان صلاح أوَّل هذه الأمَّة**، كما قال رسولُ الله ﷺ: «**صَلاَحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينِ، وَيَهْلِكُ آخِرُهَا بِالبُخْلِ وَالأَمَلِ**» [رواه الإمام أحمد في كتاب الزُّهد، وهو حديث حسن].

إنَّ من بواعث الأمل في الأمَّة ما نراه ويراه كلُّ أحدٍ من حرمة وقدسيَّة شهر رمضان في نفوس كثير من المسلمين ـ ولله الحمد والمنَّة ـ، وهذا ممَّا يزيد في بهاء هذه الشَّعيرة والعبادة، ويُنمِّي من عناية المسلمين بها، ويجعل المرءَ يعيش أجواءً إيمانية خالصة وخاصَّة ـ ولو لشهر ـ يلمس أثرَ ذلك كلُّ واحد منَّا إذا تولَّى هذا الشَّهر المبارك العظيم، وإذا كان هذا على مستوى الأفراد فعلى مستوى الدَّولة ـ أيضًا ـ فإنَّك ترى رعايتَها لحرمة الشَّهر من أن تُنتهَك بالإفطار العلني ونحوه مما يُخلُّ بقدسيَّته؛ لأنَّ انتهاك مقدَّسات المسلمين ممَّا يمسُّ عقيدة أهل الإيمان، ويجرح شعائرهم ومشاعرهم، ويثلم صفَّهم ووحدتهم، ويفضي بالجرح إلى الضّيعة والهلاك... وهو من أسباب التَّطرُّف المقيت والغلوِّ الذَّميم.

إنَّ إدراك أهداف الصِّيام، وتحقيق معانيه العالية، يجعل المسلمين يعيشون سعادة وعيشًا طيِّبًا هنيئًا، وإحساسًا بالرَّحمة والإحسان، وبهجة في الأنفس وإشراقة، ومحبَّة وتعاونًا في البرِّ، وودًّا صافيًا نقيًّا خاليًا من الأغراض الدُّنيويَّة، وأخوَّةً صادقةً لا يحسُّ بها إلَّا من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، فصامت جوارحه عن الآثام كما صام بطنُه عن الشَّراب والطَّعام.

إنَّ من سنن التَّغيير ما تضمَّنه وحواه قوله جلَّ وعلا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، قاعدة مطَّردة في النَّجاح والفشل، ونحن اليوم بحاجة إلى أمَّة يسمو أصحابُها بتعاليم

الإسلام، بنفوس واثقة بدين الله، وهمم عالية لترجمة أحكام الشَّريعة السَّمحة ترجمة عمليَّة في سلوكاتها، نحن بحاجة إلى أمَّة عندها من القوَّة المادِّية والمعنويَّة ما تدفع به استسلام الضُّعفاء والعاجزين، وتوصل إلى غيرها من الأمم ـ في عزٍّ ـ شريعةَ ربِّ العالمين، هذه الأمم الَّتي باتت لا تعرف من إسلام النَّاس إلَّا ما يُنشر ويبثُّ في القنوات الفضائيَّة وأكثرها لا ينقل حقيقة الإسلام، ولا يظهر جمال شعائر الدِّين، ولا يبيِّن حِكمَ التَّشريع، ولا معاني التَّكليف.

إنَّ شريعة الصِّيام من الشَّعائر المؤذنة بالوحدة المطلوبة شرعًا، واجتماع الكلمة، ورأب الصَّدع، ونبذ الفرقة بجميع صورها وأشكالها، فـ «إنَّ الله تعالى ما شرع هذه الشَّعائر عبثًا وإنَّما شرعها لحكم جليلة أعلاها جمع الأمَّة على الدِّين، لتجتمع في شؤونها الدُّنيويَّة، وتوحيدها في عبادة الله، لتتربَّى على الاتِّحاد في مصالحها العامَّة المشتركة...» [«آثار البشير الإبراهيمي» (٢ / ١٦٣)].

ومن هذه المصالح المشتركة، التَّألُّم لما يحلُّ بجهات من بلدان العالم الإسلامي، والتَّأثُّر لحال المسلمين، وأقلّ ما يمكن تقديمه لدول مسلمة توالت عليها الخطوب والمصائب أن نخلص لها الدُّعاء، والثَّبات على الحقِّ المبين ـ وهذا ممَّا يقدر عليه الجميع ـ، بلهجة صادقة مع الله جلَّ وعلا، وأوبة راشدة إليه، لا بشقشقة لسان، وإنَّما بالتَّوحيد والاستقامة والعمل بالسُّنَّة والقرآن.

لا ينبغي للمسلم أن يرث اليأس والقنوط من أهل الإرجاف، فمعالمُ الخيريَّة باقية في أمَّة الإسلام، رغم تنكُّب بعضهم عن الطَّريق السَّويِّ، والأمَّة إذا أقبلت على ربِّها بصدق الرَّغبة والعزيمة والسَّبق إلى الخيرات، وأحسنت الظَّنَّ بالله جلَّ وعلا، أقبل اللهُ عليها، فأمَّنها من خوفها، وأطعمها من جوعها، وهداها سبل السَّلام.

التحرير

الصِّيام والتقوى

عمر حمرون



إنَّ من حكمةِ الله تعالى أنْ شرع لعباده الأحكام والعبادات والقربات ليعود بالنُّفوس إلى ما فُطرت عليه، وليتحقَّق فيها تقوى الله جلَّ وعلا، ولذلك من تأمَّل سورة البقرة على سبيل المثال ـ وهي أكبر السُّور وأكثرها ذكرًا للأحكام الشَّرعيَّة ـ يجد أنَّ الله تعالى لا يذكر فيها حكمًا من الأحكام الشَّرعية إلَّا ويقرنه بذكر التَّقوى، ممَّا يشعر بأنَّ من حِكَم تشريع تلك الأحكام تحقيقُ تقوى الله تعالى.

وإنَّ من أعظم العبادات والقُربات المحقِّقة لتقوى الله عزَّ وجلَّ الصِّيامَ، فبيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّه لم يَشْرَع هذا الصِّيام لعباده ليجوعوا وليعطشوا، وإنَّما شرعه لهم لغاية عظيمة ألا وهي تحقيق تقوى الله عزَّ وجلَّ.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «والصَّوم إنَّما شرع لتحصيل التَّقوى...»(١).

وقد جاء في سنَّة المصطفى ﷺ ما يؤكِّد هذا المعنى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَة فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٢).

وعنه رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ وَالعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ**

مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»[3].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «بيَّن ﷺ أنَّ الله تعالى لم يحرِّم على الصَّائم الأكل لحاجته إلى ترك الطَّعام والشَّراب، كما يحرِّم السَّيِّد على عبيده بعض ماله، بل المقصود محبَّة الله تعالى، **وهو حصول التَّقوى**، فإذا لم يأت به فقد أتى بما ليس فيه محبَّة ورضا، فلا يثاب عليه»[4] اهـ.

وقد أدرك سلفنا الصَّالح هذه الحقيقة التي شرع لأجلها الصِّيام فكانوا يصونون صيامهم عن جميع ما يخدش فيه وينقص أجره وثوابه، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء»[5].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «إذا صمت فتحفَّظ ما استطعت»[6].

وعن أبي المتوكّل أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المساجد، وقالوا: نطهِّر صيامنا[7].

قلت: لأنَّ مخالطة النَّاس ومعافستهم قد تكون سببًا في خدش الصَّوم، فما أحوجنا إلى إحياء هذا الهدي في أيَّام الصَّوم.

وعن كعب قال: «الصَّائم في عبادة ما لم يغتب»[8].

وعن حفصة بنت سيرين ـ رحمها الله ـ قالت: «الصِّيام جنَّة ما لم يخرقها صاحبها، وخرقها الغيبة»[9].

وعن أبي العالية ـ رحمه الله ـ قال: «الصَّائم في عبادة ما لم يغتب أحدًا، وإن كان نائمًا على فراشه»[10].

ثمَّ إنَّ من رحمة الله تعالى بعباده في هذا الشَّهر الكريم أن يسَّر لهم **أسباب التَّقوى** وسهَّل لهم سبلها، وذلك من وجوه عدَّة أذكر منها ما يلي:

الوجه الأوَّل: أنَّ الشَّياطين من أعظم ما يعيق عن تقوى الله عزَّ وجلَّ وهي في هذا الشَّهر مسلسلة مصفَّدة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ـ وفي رواية: أَبْوَابُ الجَنَّةِ ـ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»[11].

الوجه الثَّاني: أنَّ من أعظم ما يخدش في التَّقوى الذُّنوبَ والمعاصي، والصَّائمُ من أشدِّ النَّاس حرصًا على اجتنابها، ومتى قارف شيئًا منها فهي بالصِّيام والقيام مكفَّرة ـ إنْ شاء الله ـ، ففي «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

وفيهما أيضًا عنه رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ قَامَ**

رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

الوجه الثَّالث: أنَّ هذا الشَّهر هو شهر الكفِّ عن الشَّهوات، ولذلك جاء في الحديث القدسي أنَّ الله تعالى يقول: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي**»[١٢] الحديث.

الوجه الرَّابع: أنَّ شهر رمضان هو شهر القرآن، قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ**﴾[البقرة: ١٨٥].

والقرآن الكريم هو هدى للمتَّقين، قال تعالى: ﴿**الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝**﴾[البقرة: ١ ـ ٢].

فمن واظب على قراءة كتاب الله في هذا الشَّهر وتدبَّره وعمل بما فيه كان له النَّصيب الأوفر من تحقيق تقوى الله عزَّ وجلَّ.

الوجه الخامس: أنَّ الله تعالى قد قرن في كتابه بين الصَّبر والتَّقوى في عدَّة مواضع، فمن تسلَّح بسلاح الصَّبر حقَّق تقوى الله جلَّ وعلا؛ لأنَّ شهر رمضان هو شهر الصَّبر، فقد روى أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ**»[١٣].

وهذا الشَّهر تجتمع فيه أنواع الصَّبر الثَّلاثة: ففيه صبر على فعل الطَّاعة، وصبر على ترك المعصية، وصبر على ألم الجوع والعطش.

الوجه السَّادس: أنَّ من أعظم الطَّاعات الَّتي بها تتحقَّق التَّقوى الصَّلاةَ، وشهر رمضان هو شهر الصَّلاة والتَّراويح وقيام اللَّيل.

الوجه السَّابع: أنَّ من أعظم ما يحقِّق التَّقوى نفع العباد بالبذل والإحسان والصَّدقات، وشهر رمضان هو شهر البذل والعطاء والمسارعة إلى الإنفاق، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل**»[١٤] الحديث.

الوجه الثَّامن: أنَّ ذكر الله تعالى هو زاد المتَّقين الَّذي يتزوَّدون به في سَيْرِهم إلى الله جلَّ وعلا، وهو حياة القلوب، وروح الأبدان، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «**الذِّكر للقلب مثل الماء للسَّمك، فكيف يكون حال السَّمك إذا فارق الماء**»[١٥].

وشهر رمضان هو شهر ذكرِ الله تعالى، تجد فيه النُّفوس من اللَّذَّة بذكره ما لا تجده في سائر الشُّهور.

والحاصل أنَّ هذا الشَّهر اجتمع فيه من عبادة الصِّيام والصَّلاة والذِّكر ما لم يجتمع في غيره من الشُّهور، وهذه العبادات كما قال شيخ الإسلام



ـ رحمه الله ـ هي أصول العبادات الدِّينيَّة[16]، ولذلك جاءت مجموعة في بعض النُّصوص كقوله ﷺ في الخوارج: «**يَحْقِرُ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِ**»[17] الحديث.

فهذه أخي القارئ بعض أوجه تيسير الله تعالى لأسباب التَّقوى في هذا الشَّهر المبارك.

فمن لم يحقِّق التَّقوى في هذا الشَّهر فلا يلومنَّ إلَّا نفسه.

ولذلك دعا جبريل ـ عليه السَّلام ـ بالإبعاد على من ضيَّع فرصة تكفير السَّيِّئات في هذا الشَّهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**»[18] الحديث.

وفَّق الله الجميع لاغتنام هذا الشَّهر للتَّزوُّد بالخيرات للدَّار الآخرة، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (٥/ ١٩٦ ـ ١٩٨).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٧٣)، وانظر: «صحيح الجامع» (٣٤٨٨).

(٤) «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» (٥/ ١٩٦ ـ ١٩٨).

(٥) رواه ابن أبي شَيْبَة (٨٨٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣١٧).

(٦) رواه ابن أبي شيبة (٨٨٧٨).

(٧) رواه ابن أبي شيبة (٨٨٨١)، وابن حزم في «المحلى» (٦/ ١٧٩)، والجملة الأخيرة له.

(٨) أخرجه عبد الرَّزَّاق (٤/ ٣٠٧).

(٩) أخرجه عبد الرَّزَّاق (٤/ ٣٠٧).

(١٠) أخرجه عبد الرَّزَّاق (٤/ ٣٠٧).

(١١) رواه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩).

(١٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، واللَّفظ لابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ١٩٧).

(١٣) «المسند» (٢/ ٢٦٣)، وانظر: «صحيح الجامع» (٣٨٠٣).

(١٤) رواه البخاري (١٩٠٢).

(١٥) حكاه عنه تلميذه ابن القيِّم في «الوابل الصَّيِّب»، انظر: «صحيح الوابل الصَّيِّب» (ص٨٤).

(١٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

(١٧) انظر: «صحيح مسلم» (١٠٠٦٦).

(١٨) رواه ابن حبَّان (٣/ ١٨٨) وغيره **بسند حسن** وله شواهد يصحُّ بها.

الفطر في السفر

محمد لوزاني

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في سفره، فرأى رجلاً قد اجتمع النَّاس عليه، وقد ظُلِّل عليه، فقال: «مَالَهُ؟» قالوا: رجلٌ صائمٌ، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَ البِرِّ أنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ».

❖ **تخريج الحديث:**

للحديث طريقان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه:

الطَّريق الأوَّل: عن محمَّد بن عَمْرو بن الحسن عنه.

أخرجه البخاري (٢/ ٦٨٧)، ومسلم (٢/ ٧٨٦)، وابن خزيمة (٣/ ٢٥٤)، وأبو داود (١/ ٧٣٢)، والنَّسائي (٤/ ١٧٧)، والدَّارمي (٢/ ١٦)، وأحمد (٣/ ٣١٩)، من حديث شعبة عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن سعد بن زرارة عن محمَّد بن عَمْرو به.

الطَّريق الثَّاني: عن محمَّد بن عبد الرَّحمن ابن سعد ـ وهو ابن ثوبان ـ عنه.

أخرجه ابن حبَّان (٨/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٢)، والنَّسائي (٤/ ١٧٥)، من حديث عمارة بن غزيَّة عن محمَّد بن عبد الرَّحمن به.

ورواه يحيى بن أبي كثير حدَّثني محمَّد بن عبد الرَّحمن بن ثوبان عن جابر وزاد: «**فَعَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللهِ الَّتِي رَخَّصَ لَكُمْ، فَاقْبَلُوهَا**».

أخرجه النَّسائي (٤/ ١٧٦)، وابن حبَّان (٢/ ٧٠)، والطَّحاوي في «شرح معاني الآثار»

(٢/ ٦٢) من طرق عن يحيى بن أبي كثير به.

وقد صحَّح الشَّيخ الألباني ـ رحمه الله ـ إسناد هذه الزِّيادة، وذكر أنَّ تفرُّد يحيى بن أبي كثير بها لا يضرُّه؛ لأنَّه ثِقَةٌ ثَبْتٌ كما في «التَّقريب»، وأنَّ ما يُخشى من تدليسه قد زال بتصريحه بالسَّماع[١].

❖ **شرح الحديث:**

* **قوله: «في سفره»:**

هذا السَّفر، قال الحافظ بأنَّه كان عام الفتح واستدلَّ له بما أخرجه مسلم (٢/ ٢٨٥)، والتِّرمذي (٧١٠)، والنَّسائي (٤/ ١٧٧)، وابن خزيمة (٣/ ٢٥٥)، وابن حبَّان (٨/ ٣١٨) من طرق عن جعفر ابن محمَّد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى مكَّة عام الفتح فصام حتَّى بلغ كُرَاع الغميم[٢] وصام النَّاس معه، فقيل له: إنَّ النَّاس قد شقَّ عليهم الصِّيام، وإنَّ النَّاس ينظرون فيما فعلت، فدعَا بقدحٍ من ماء بعد العصر فشرب، والنَّاس ينظرون إليه فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أنَّ ناسًا صاموا، فقال: «**أُولَئِكَ العُصَاةُ**».

وبما أخرجه مالك (١/ ٢٩٤)، وأحمد (٣/ ٤٧٥) وأبو داود (١/ ٧٢١)، والبيهقي (٤/ ٢٤٢) بسند صحيح من طريق سُمَيٍّ مولى أبي بكر عن أبي بكر ابن عبد الرَّحمن، عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر النَّاس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال: «**تَقَوَّوْا لِعَدُوِّكُمْ**»، وصام رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: قال الَّذي حدَّثني: لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعَرْج يصبُّ على رأسه الماء من العطش أو من الحرِّ، وقيل لرسول الله ﷺ: إنَّ طائفةً من النَّاس قد صاموا حين صُمْتَ قال: فلمَّا كان رسول الله ﷺ بالكَدِيدِ[٣] دعَا بقدح فشرب، فأفطر النَّاس.

* **قوله: «فرأى رجلًا قد اجتمع النَّاس عليه وقد ظُلِّل عليه»، وفي رواية: «رأى رجلًا يظلَّلُ عليه والزِّحام عليه»، وفي رواية: «رأى رسول الله ﷺ رجلًا في سفر في ظلِّ شجرة يُرشَّح عليه الماء».**

وهذا كلُّه يفيد أنَّ الرَّجل تضرَّر بالصِّيام حتَّى احتاج إلى أنْ يجلس في الظِّلِّ ويُرَشَّ بالماء، ولهذا لما سأل الرسول ﷺ عنه قالوا: «رجل أجهده الصَّوم»، قال ابن حجر: «لم أقف على اسم هذا الرَّجل»، ولو لا ما قدَّمته من أنَّ عبد الله بن رواحة استشهد قبل غزوة

الفتح لأمكن أن يفسَّر به لقول أبي الدَّرداء: إنَّه لم يكن من الصَّحابة في تلك السَّفرة صائمًا غيره[٤].

* قوله: «ليس من البرِّ...».

قال ابن القيِّم: «أي ليس هو أبرُّ البرِّ؛ لأنَّه قد يكون الإفطار أبرُّ منه إذا كان في حجٍّ أو جهاد يتقوَّى عليه، وقد يكون الفطر في السَّفر المباح برًّا؛ لأنَّ الله تعالى أباحه ورخَّص فيه، وهو سبحانه يحبُّ أنْ يُؤْخَذَ برخصه، وما يحبُّه الله فهو برٌّ، فلم ينحصر البرُّ في الصِّيام في السَّفر.

وتكون «من» على هذا زائدة ويكون كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، وكقولك: «ما جاءني من أحد».

وفي هذا نَظَرٌ، وأحسن منه أن يقال: إنَّها ليست بزائدة، بل هي على حالها، والمعنى أنَّ الصَّوم في السَّفر ليس من البرِّ الَّذي تظنُّونَه وتتنافسون عليه، فإنَّهم ظنُّوا أنَّ الصَّوم هو الَّذي يحبُّه الله ولا يحبُّ سواه، وأنَّه وحده البرُّ الَّذي لا أبرّ منه، فأخبرهم أنَّ الصَّوم في السَّفر ليس من هذا النَّوع الَّذي تظنُّونه، فإنَّه قد يكون الفِطْر أحبَّ إلى الله منه فيكون هو البِرُّ[٥].

❖ فقه الحديث:

يستفاد من هذا الحديث أنَّ الصِّيام في السَّفر لمن يشقُّ عليه ويضعفه أو يؤدِّي به إلى ترك ما هو أولى من الصَّوم من وجوه القُرَبِ والعبادات ليس برًّا وطاعة.

قال ابن دقيق العيد: «أخذ من هذا: أنَّ كراهة الصَّوم في السَّفر لمن هو في مثل هذه الحالة ممَّن يجهده الصَّوم ويشقُّ عليه أو يؤدِّي به إلى ترك ما هو أولى من القربات، ويكون قوله: «**لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**» مُنَزَّلًا على مثل هذه الحالة[٦].

وقد يكون الصِّيام في السَّفر معصيةً وإثمًا، وذلك ما جاء صريحًا في بعض روايات حديث جابر الَّذي سبق تخريجه قبل قليل، ولفظه: «أنَّ رسول الله ﷺ خرج إلى مكَّة عام الفتح، فصام حتَّى بلغ كراع الغميم، وصام النَّاس معه، فقيل له: إنَّ النَّاس قد شقَّ عليهم الصِّيام وإنَّ النَّاس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والنَّاس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام بعضهم فبلغه أنَّ ناسًا صاموا فقال: «**أُولَئِكَ العُصَاةُ**».

فسمَّى الرَّسول ﷺ الَّذين أتمُّوا الصِّيام ولم يفطروا عصاة.

كما قد يكون ترك الصِّيام للمسافر أحيانًا هو البرَّ، كالإفطار لأجل التَّقوِّي على العبادة الَّتي تحتاج إلى قوَّة بدنيَّة مثل الحجِّ والجهاد في سبيل الله، يدلُّ على ذلك حديث أبي بكر بن عبد الرَّحمن عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر النَّاس في سفره عام الفتح بالفطر، وقال: «**تَقَوَّوْا لِعَدُوِّكُمْ**»، وقد مضى تخريجه قريبًا.

وقد احتجَّ بعضهم بهذا الحديث على أنَّ الفطر واجبٌ على المسافر، وأنَّ الصِّيام فيه لا يُجْزِئ وهو مذهب أهل الظَّاهر.

واحتجُّوا كذلك بقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

فقالوا: بأنَّ الله تعالى إنَّما أمر المسافر بالعدَّة من أيام أُخَر فهي فرضه الَّذي أمر به فلا يجوز غيره.

أمَّا احتجاجهم بالحديث، فيجاب عنه:

بأنَّ قوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**» خرج على شخص معيَّن رآه رسول الله ﷺ قد ظُلِّل عليه وجهده الصَّوم، فقال هذا القول، أي ليس من البرِّ أنْ يجهد الإنسان نفسه حتَّى يبلغ بها هذا المبلغ، وقد فسح الله له في الفطر، فالأخذ إنَّما يكون بعموم اللَّفظ الَّذي يدلُّ سياق الكلام على إرادته، فليس من البرِّ هذا النَّوع من الصِّيام المشار إليه في السَّفر، أمَّا لو صام شخصٌ في السَّفر ولم يصلْ به الأمر إلى مثل هذا الحدِّ فلا يتناوله الحديث ولا يوصف صيامه بأنَّه ليس برًّا أو ليس من البرِّ.

قال ابن المنير في «الحاشية»: «هذه القصَّة تُشعِر بأنَّ مَنِ اتَّفق له مثل ما اتَّفق لذلك الرَّجل أنَّه يساويه في الحكم، وأمَّا من سلم من ذلك ونحوه، فهو في جواز الصَّوم على أصله، والله أعلم»(٧).

وقد يحتجُّ بعضهم بالقاعدة الَّتي تقرِّر بأنَّ العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، وهذا استدلال في غير موضعه كما بيَّن ذلك العلَّامة ابن دقيق العيد ـ رحمه الله ـ فقال في سياق ردِّه على أهل الظَّاهر:

«والظَّاهريَّة المانعون من الصَّوم في السَّفر يقولون: إنَّ اللَّفظ عامٌّ، والعبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، ويجب أن تتنبَّه للفرق بين دلالة

السِّياق والقرائن الدَّالَّة على تخصيص العامِّ وعلى مراد المتكلِّم، وبين مجرَّد ورود العامِّ على السَّبب لا يقتضي التَّخصيص به كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] بسبب سرقة رداء صفوان، وأنَّه لا يقتضي التَّخصيص به بالضَّرورة والإجماع، أمَّا السِّياق والقرائن فإنَّها الدَّالَّة على مراد المتكلِّم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة فإنَّها مفيدة في مواضع لا تحصى، وانظر في قوله ـ عليه السَّلام ـ: «**لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**» مع حكاية هذه الحالة مع أيِّ القبيل هو، فنزله عليه»(٨).

أمَّا احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فقد أجاب عنه ابن القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ فقال:

«وأمَّا احتجاجكم بالآية، وأنَّ الله أمر المسافر بعدَّة من أيَّام أُخَر فهي فرضه الَّذي لا يجوز غيره، فاستدلالٌ باطلٌ قطعًا، فإنَّ الَّذي أُنْزِلت عليه هذه الآية، وهو أعلم الخلقِ بمعناها والمراد منها، قد صام بعد نزولها بأعوام في السَّفر، ومحال أن يكون المراد منها ما ذكرتم ولا يعتقده مسلم، فَعُلِم أنَّ المراد بها غير ما ذكرتم، فإمَّا أن يكون المعنى: فأفطر فعدَّة من أيَّام أخر، كما قال الأكثرون، أو يكون المعنى: فعدَّة من أيَّام أُخَر تجزي عنه وتُقْبَل منه ونحو ذلك.

فما الذي أوجب تعيين التَّقدير بأنَّ عليه عدَّة من أيَّام أُخَر، أو ففرضه ونحو ذلك، وبالجملة ففعل من أُنْزِلت عليه تفسيرُها وتبيينُ المراد منها، وبالله التَّوفيق.

وهذا موضع يغلط فيه كثير من قاصري العلم، يحتجُّون بعموم نصٍّ على حكم، ويغفلون عن عمل صاحب الشَّريعة وعمل أصحابه الَّذي يبيّن مراده، ومن تدبَّر هذا علم به مراد النُّصوص وفهم معانيها»(٩).

هذا حكم الصَّوم في السَّفر إذا كان يضرُّ بالصَّائم أو يُضْعِفُه عن أداء ما هو أولى منه من أنواع العبادات.

أمَّا إذا لم يحصل به شيءٌ من ذلك، فالصَّحيح أنَّه يجوز له أن يصوم أو يفطر، أيّ ذلك فَعَلَ فلا حَرَجَ عليه، ويدلُّ عليه حديث حمزة بن عمرو



الأسلمي، قال لرسول الله ﷺ: أأصوم في السَّفر؟ وكان كثير الصِّيام، فقال له رسول الله ﷺ: «**إِنْ شِئْتَ فَصُمْ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ**»(١٠).

وقد كان الصَّحابة ﷽ يسافرون مع النَّبيِّ ﷺ في رمضان، فمنهم من يصوم، ومنهم من يفطر، ولا يعيب بعضهم بعضًا، وفي ذلك أحاديث، منها حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنَّا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنَّا الصَّائم، ومنَّا المفطر، فلا يجد الصَّائم على المفطر ولا المفطر على الصَّائم، يرون أنَّ من وجد قوَّة فصام فإنَّ ذلك حَسَنٌ، ويرون أنَّ من وجد ضعفًا فأفطر فإنَّ ذلك حَسَنٌ»(١١).

وبهذا قال أكثر أهل العلم إلَّا أنَّهم اختلفوا في أيِّهما أفضل: الصَّوم أم الفطر؟

قال ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ: «واختلف أهل العلم في الأفضل من الصَّوم والفطر، فذهب عبد الله بن عَمْرو وعبد الله بن عبَّاس وسعيدُ ابن المسيِّب والشَّعبي والأوزاعي وإسحاق وأحمد إلى أنَّ الفطر أفضل.

وذهب أنس وعثمان بن أبي العاص إلى أنَّ الصَّوم أفضل، وهو قول الشَّافعي وأبي حنيفة ومالك.

وذهب عُمَر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة إلى أنَّ أفضلَ الأمرين أيْسَرُهما، لقوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وذهبت طائفةٌ إلى أنَّهما سواءٌ لا يرجَّح أحدهما على الآخر»(١٢).

وأظهر هذه الأقوال وأقربها إلى الصَّواب ـ والله تعالى أعلم ـ قول من قال: إنَّ أفضل الأمرين أيسرهما.

ويؤيِّد ذلك ما ورد عن ابن عبَّاس ﷺ، أنَّه قال: «إنَّما أراد النَّبيُّ ﷺ برخصة الإفطار في السَّفر تيسيرًا عليكم، فمن يَسُر عليه الصَّوم فليصمْ، ومن يسر عليه الفطر فليفطر»، أخرجه الطَّحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/٦٦)، وابن عبد البرِّ في «التَّمهيد» (٢/ ١٧٢) من طريق عبيد الله بن عَمْرو عن عبد الكريم عن طاوس به.

وهذا إسنادٌ رجاله ثقات، وطاوس يروي عنه رجلان كلاهما يسمَّى عبد الكريم، أحدهما عبد

الكريم بن مالك الجَزَرِي، والآخر عبد الكريم ابن أبي المُخارق أبو أميَّة، الأوَّل ثقة، والثَّاني ضعيف؛ لكن ذكر ابن بطَّال بأنَّ الرَّاوي عنه هنا الأوَّل[13].

وقد ذكر العلَّامة الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ ما هو قريب من هذا فقال:

«نعم يمكن الاستدلال لتفضيل الإفطار على الصِّيام بالأحاديث الَّتي تقول: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ**» وفي رواية: «**كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ**».

وهذا لا مناص من القول به؛ لكن يمكن أن يقيَّد ذلك بمن لا يتحرَّج بالقضاء، وليس عليه حَرَجٌ في الأداء، وإلَّا عادت الرُّخصة عليه بخلاف المقصود، فتأمَّل»[14].

---

(١) «الإرواء» (٤/ ٥٦).

(٢) قال ياقوت الحموي: «موضع بناحية الحجاز بين مكَّة والمدينة، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال، وهذا الكراع: جبل أسود في طرف الحرة يمتدُّ إليه» [«معجم البلدان» (٤/ ٤٤٣)].

(٣) ماء بين عُسْفان وأَمَج ـ أمج بفتحتين وجيم ـ، موضع بين مكَّةَ والمدينة، كما في «لسان العرب» (٢/ ٢٠٨).

(٤) «فتح الباري» (٤/ ١٨٦).

(٥) «تهذيب السُّنن» (٧/ ٣٤).

(٦) «شرح العمدة» (٢/ ٢٢٥).

(٧) نقلًا عن «الفتح» (٤/ ١٨٤).

(٨) «شرح العمدة» (٢/ ٢٢٥).

(٩) «تهذيب السُّنن» (٧/ ٣٦).

(١٠) أخرجه البخاري (٢/ ٦٨٦)، ومسلم (٢/ ٧٨٩).

(١١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٨٦)، والتِّرمذيُّ (٣/ ٩٢)، والنَّسائي (٤/ ١٨٨)، وأحمد (٣/ ١٢).
قال التِّرمذيُّ: «هذا حديث حسن صحيح».

(١٢) «تهذيب السُّنن» (٧/ ٣٧).

(١٣) «شرح البخاري» (٧/ ٩٩).

(١٤) «السِّلسلة الصَّحيحة» (١/ ٣٣٠).



أثر الصيام في حياة المسلم

محمد تيقمونين

إنَّ من أجل المناسبات زمنًا وأعظمها قدرًا وأبعدها أثرًا ما يعيشه المسلم في هذه الأيَّام المباركة من شهر رمضان، الَّذي أنزل فيه القرآن، شهر الصِّيام والقيام، شهر مضاعفة الحسنات ورفعة الدَّرجات، ومغفرة الذُّنوب والسَّيِّئات، وإقالة العثرات، فيه تفتح أبواب الجنَّة وتغلق أبواب النَّار، وتصفَّد الشَّياطين، من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدَّم من ذنبه.

في شهر الصِّيام تصفو النُّفوس، وتكثر دواعي الخير، تتنزَّل فيه الرَّحمات، وترفع الدَّرجات والدَّعوات، وتغفر الزَّلَّات.

في هذا الشَّهر تهجُّد وتراويح، وذكر وتسبيح، تلاوة وصلوات، وجود وصدقات، وأذكار ودعوات.

الصَّوم مدرسة لتهذيب الأخلاق وتقوية للإرادة وتهيئة للمؤمن لمواقف البذل والعطاء.

هذه جملة مصالح الصَّوم، المشهودة بالعقول السَّليمة والفطر المستقيمة، شرعه الله عزَّ وجلَّ لعباده رحمة بهم ـ لا نقمة عليهم ـ وأمرهم به إحسانًا إليهم وحِمْيَةً لهم وجُنَّةً[1].

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ لصوم رمضان مرتبة عظيمة مشهورة عند القاصي والدَّاني، إنَّه أحد أركان الإسلام ومبانيه.

ولعلِّي أتناول هنا بعض تلك الآثار الَّتي تدفع المؤمن إلى المضيِّ في صيامه على الوجه المطلوب شرعًا، مستشعرًا عِظَم هذه الشَّعيرة، وما لها من أسرار.

أوَّلًا ـ أثر الصِّيام على أعمال القلوب:

من المعلوم عند أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الأعمال الظَّاهرة لها أثر كبير على الأعمال الباطنة، في

القلب، فكلَّما زادت في الظَّاهر، كملت في الباطن، ولهذا كان الصِّيام من العبادات البدنيَّة الَّتي تسمو بالمسلم إلى مرتبة الإيمان، وتعين المؤمن على بلوغ منزلة المحسنين الصَّادقين.

ومن أهمِّ أوجه تأثير الصِّيام على أعمال القلوب:

١ ـ الصِّيام عنوان إخلاص العبد وصدقه مع الله تعالى:

إنَّ الله سبحانه وتعالى خصَّ الصِّيام بإضافته إلى نفسه سبحانه دون سائر الأعمال، كما ثبت ذلك في الحديث الصَّحيح: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيام فَإِنَّهُ لِي**».

وذلك أنَّ الصِّيام سرٌّ بين العبد وربِّه لا يطَّلع على ذلك غيره، وحقيقته ترك حظوظ النَّفس وشهواتها الَّتي جبلت على الميل إليها لله عزَّ وجل.

فإذا صام العبد اشتدَّ توقان النَّفس إلى ما تشتهيه مع قدرته عليه، ثمَّ تركه لله عزَّ وجلَّ في موضع لا يطَّلع عليه إلَّا الله سبحانه، كان ذلك دليلًا على صحَّة الإيمان وإخلاصه وصدقه مع الله، فإنَّ الصَّائم يعلم أنَّ له ربًّا يطَّلع عليه في خلواته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربَّه وامتثل أمره واجتنب نهيه، خوفًا من عقابه ورغبةً في ثوابه، فشكر الله له ذلك واختصَّ لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله.

وحينئذ لَمَّا صار الصِّيام دليل إخلاص العبد، وعنوانًا على نَبْذِ كلِّ رياء، ومعقد السِّرِّ بين العبد وربِّه في الدُّنيا، أظهره الله في الآخرة علانيَّة للخلق، ليشتهر بذلك أهل الصِّيام، ويعرفون بطيب ريحهم بين النَّاس، جزاءً لإخفائهم صيامهم في الدُّنيا[٢].

٢ ـ الصِّيام من أعظم أسباب التَّقوى:

قد أبان الله سبحانه وتعالى أنَّ الصَّوم من أعظم أسباب التَّقوى، قال جلَّ وعلا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣**﴾ [البقرة: ١٨٣].

وحقيقة التَّقوى: فعل المأمور والمندوب إليه، وترك المنهيِّ عنه والمكروه، وهي راجعة إلى وقاية العبد نفسه من النَّار.

ومن وجوه التَّقوى في هذه العبادة العظيمة:

ـ أنَّ الصَّائم يترك ما حرَّم الله عليه من الأكل والشُّرب وسائر المفطرات الَّتي تميل النَّفس إليها، متقرِّبًا بذلك إلى الله تعالى، راجيًا ثوابه.

ـ أنَّ الصَّوم يورث العبد الخشية في قلبه، ويدرِّب نفسه على مراقبة الله تعالى في السِّرِّ والعلن.

ـ أنَّ الصَّائم في الغالب تكثر طاعته، والطَّاعات من خصال التَّقوى.

ـ أنَّ الصَّائم يتوقَّى الوقوع في المنكرات، ويتجنَّب ما يراه في مجتمعه من الآثام.

إلى غير ذلك من الوجوه.

فالصِّيام إِذَنْ شرعه الله تعالى رحمةً بعباده ورأفة بهم، ولم يأمرهم به ليكلفهم ما لا يطاق، أو ليعذِّبهم، بل سنَّ لهم هذه العبادة لتحقيق التَّقوى، والبعد عن كلِّ شرٍّ وعيب ونقص، فإنَّ المولى جلَّ وعلا أرحم بعباده من المرأة بولدها، وجاءت أحكامه وشرائعه وَفْق حكمته ومشيئته النَّافذة، لا معقِّب لحكمه وهو الحكيم الخبير[٣].

٣ ـ الصِّيام مفتاح الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين:

اعلم ـ رعاك الله ـ أنَّ الصَّوم يعين العبد على الصَّبر وحبس النَّفس عن إجابة داعي الشَّهوة والغضب، فإنَّ الصِّيام في حقيقة الحال حبس النَّفس عن إجابة داعي شهوة الطَّعام والشَّراب والجماع، وكلّ هذا داخل في الصَّبر، ولهذا فسّر الصَّبر في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥] بأنَّه الصَّوم، قال بعض السَّلف: «الصَّوم نصف الصَّبر».

وأمَّا الجانب الآخر، فإنَّ النَّاس إذا كانوا طول دَهْرِهِم مشغولين بالأكل والشُّرب، نسوا الجوع والعطش وغفلوا عن شدَّتها، وبحسب ذلك يجهلون موقع نعمة الله عليهم بالطَّعام والشَّراب، ويغفلون عن شكرها، ففرض الله صوم رمضان عليهم مدَّة من الزَّمن ليستشعروا تلك النِّعمة الَّتي كانت عليهم حلالًا طوال الدَّهر، حتَّى إذا ردَّت إليهم بعد انصرام تلك الأيَّام الفاضلة شكروها واستعانوا بالله على أداء حقها[٤].

٤ ـ الصِّيام يعين على اجتماع القلب على الله، ويشحذ الهمم لبلوغ محاب الله وطاعته:

إنَّ من أهمِّ المقاصد الَّتي تظهر للمتأمِّل في عبادة الصِّيام: اجتماع القلب والهمِّ على الله تعالى، وتوفير قوى النَّفس على محابِّ الله، وخشيته.

فإنَّ الصَّوم يورث العبد حبَّ الخير، ويتقوَّى به على الاجتهاد في طاعة الله، ولذلك تجد الصَّائمين والصَّائمات يتعبَّدون في شهر الصِّيام بأنواع من الطَّاعات والقربات، لعلَّ الله سبحانه وتعالى يغفر لهم قبل أن ينقضي ذلك الشَّهر، فرَغِمَ أنفُ من أدركه رمضان ولم يغفر له.

وهكذا المؤمن كلَّما ازداد عملًا صالحًا، وفُتح له باب من الخير فإنَّه ينبغي له أن يطلب بابًا آخر، وتكون عينه ممتدَّة إلى الخير أينما وجد، على أنَّه كلَّما ازداد من العمل الصَّالح يكون خائفًا على نفسه من مولاه، وراجيًا منه حسن العمل، وتاركًا للعُجب

بما قَدَّم، وطالبًا للارتقاء إلى باب السَّماء، سائلًا ربَّه سبحانه أن يتقبَّله منه، إنَّه جواد كريم(٥).

إلى جانب ما تقدَّم فإنَّ للصَّوم تأثيرًا عجيبًا في حفظ الجوارح الظَّاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التَّخليط الجالب لها المواد الفاسدة الَّتي إذا استولت أفسدتها، واستفراغ المواد الرَّديئة المانعة من صحَّتها، فالصَّوم يحفظ على القلوب والجوارح صحَّتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشَّهوات(٦).

ثانيًا ـ أثر الصِّيام في المحافظة على النَّفس واجتناب المهالك:

من آثار الصَّوم الحميدة تعويد المسلم على ترك المعاصي والبعد عن ركوب الآثام، وصرف القلب عن الهمم الدَّنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وذلك من وجوه عدَّة أذكر منها هنا بعضها على سبيل الإيجاز:

ـ الصِّيام عصمةٌ للمؤمن من الوقوع في المعاصي:

فمن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل الصِّيام جُنَّة، يتوقَّى العبد به الآثام ويتستَّر به من النَّار، فإذا كفَّ العبد نفسه عن الشَّهوات في الدُّنيا كان ذلك ساترًا له من النَّار يوم القيامة.

بل أرشد الشَّارع الحكيم من لا يجد طولًا إلى النِّساء وخاف على نفسه العنت بفقد النِّكاح، أرشده إلى الصِّيام وعوَّضه به بما يدفع حدَّة الشَّهوة ويكسرها.

ومن جهة أخرى فإنَّ التَّقرُّب إلى الله تعالى بترك الشَّهوات المباحة في غير حال الصِّيام يدعو العبد لترك ما حرَّم الله في كلِّ حال من الكذب والظُّلم والعدوان على النَّاس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

فالتقرُّب إلى الله في حال الصَّوم بترك المباحات يورث العبد التقرُّب إليه بترك جميع المحرَّمات.

ولهذا المعنى ـ والله أعلم ـ ورد في القرآن من سورة البقرة بعد ذكر تحريم الطَّعام والشَّراب على الصَّائم بالنَّهار ذكر تحريم أكل أموال النَّاس بالباطل، فإنَّ تحريم هذا عام في كلِّ زمان ومكان بخلاف الطَّعام والشَّراب، فكان ذلك إشارة إلى أنَّ امتثال أمر الله في اجتناب الطَّعام والشَّراب في نهار صومه مستلزم لامتثال أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنَّه محرَّم بكلِّ حال لا يباح في وقت من الأوقات(٧).

ـ الصِّيام من أهمِّ الوسائل لتحقيق التَّوبة الصَّادقة:

وذلك أنَّ العبد ربَّما يفرط في حقِّ الله بالذَّنب يصيبه ويجنيه، فإذا دخل عليه شهر الصَّوم وجده أهمَّ وسيلة للرَّدع عن العود لمثل ذلك، وأعظم فرصة لحفظ الرَّأس وما وعى، والبطن وما حوى، فينقاد للعلم النَّافع والعمل الصَّالح، ويدرك بذلك منازل الأخيار الأتقياء(٨).



- في الصِّيام قهر لسلطان الشَّهوات وتنوير للقلب بالذِّكر والفكر:

إنَّ النَّفس إذا تمادت في الشَّهوات واسترسلت فيها كادت الغفلة أن تغلب عليها، ويغشى القلب قسوة وعمى، فشرع الصَّوم لحبس النَّفس عن تلك الشَّهوات، وبه يتنوَّر القلب، ويوجب رِقَّته ويزيل قسوته، ويساعده على دوام ذكر الله، والتَّفكُّر في خلقه، فيعبد ربَّه حقَّ عبادته(٩).

ثالثًا ـ أثر الصِّيام في بعث الطُّمأنينة في نفس المؤمن:

للصِّيام أثر عميق في تربية النَّفس وتهذيبها، وتطهيرها من الأرجاس، وكبح جماحها، واستقرارها وسكونها، والرِّضا بما قسم الله لها من الآجال والأعمار والأرزاق.

وسأذكر بعض ما يجلي ذلك في النِّقاط التَّالية:

- الصِّيام يورث الفرح بإتمام العبادة لله تعالى:

كما ورد في الحديث الصَّحيح «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّه فَرِحَ بِصَوْمِهِ**».

فالمؤمن يفرح بتمام صومه، وخاتمة عبادته وسلامتها، وبما يرجوه من ثوابها من الله تعالى، ثمَّ يفرح ثانيًا يوم القيامة إذا لقي ربَّه، وذلك فيما يجده من ثواب الصِّيام مدّخرًا، وهو أحوج ما يكون إليه، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا**﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧**﴾ [الزلزلة: ٧](١٠).

- تسلية النُّفوس بمعرفة عظم أجر الصَّائمين:

إنَّ الله تعالى اختصَّ الصَّائمين ببابٍ في الجنَّة لا يدخله إلَّا الصَّائمون.

وإنَّما أَفرَد الصَّائمين بهذا الباب ليسارعوا إلى الرَّي من عطش الصِّيام في الدُّنيا إكرامًا لهم واختصاصًا(١١).

- تقوية النَّفس وحثُّها على الاجتهاد بمعرفة الأسباب المعينة على الطَّاعة:

فإنَّ الصَّائم ينبعث قلبه ـ بفضل تلك العبادة ـ إلى فعل الخيرات الَّتي بها تفتح أبواب الجنَّة، وإلى ترك المنكرات الَّتي بها تفتح أبواب النَّار، وتصفَّد الشَّياطين، فتضعف قوَّتهم وعملهم في رمضان وتقلّ شرورهم.

فإذا عرف العبد ذلك قويت نفسه على الطَّاعة واجتهد لبلوغ أعلى المنازل(١٢).

- إنَّ الصِّيام يسكن وساوس الشَّيطان وحزبه:

لما كان من آثار الصِّيام تضييق مجاري الدَّم في الإنسان ـ الَّتي هي مجاري الشَّيطان من ابن آدم ـ

فإنَّ النَّفس تسكن بالصِّيام من وساوس إبليس وجنده، فإذا اشتغل العبد بذكر الله وطاعته أمنه الله من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ[١٣].

رابعًا ـ أثر الصِّيام في التَّكافل والتَّكامل في المجتمع:

إنَّ الصِّيام يعرِّف الغني قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرًا من الفقراء من فضول الطَّعام والشَّراب والنِّكاح، فإنَّه بامتناعه عن هذه النِّعمة في وقت مخصوص، وحصول نوع مشقَّة له بتركها، يتذكَّر من منعها من المحتاجين، فيدعوه ذلك إلى رحمة إخوانه الفقراء ومواساتهم ويكون سببًا لعطفه عليهم والإحسان إليهم.

والله أعلم بالصَّواب، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٠)، «محاسن التَّأويل» للقاسمي (٥٢/ ٧٤).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطَّال (٤/ ٩)، «الاستذكار» (١٠/ ٢٤٩)، «المفهم» (٣/ ٢١٢)، «مفتاح دار السَّعادة» (٢/ ٣٢٢)، «لطائف المعارف» (ص١٧٢ ـ ١٨٠)، «فتح الباري» (٤/ ١٣٥).

(٣) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٢٩)، «مفتاح دار السَّعادة» (٢/ ٣٢٣).

(٤) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ٢٨٧)، «عدة الصَّابرين» (ص١٨٣)، «لطائف المعارف» (ص١٧٣، ١٦٧)، «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص٧١).

(٥) انظر: «شرح البخاري» لابن بطَّال (٤/ ٢٢ ـ ٢٣)، «زاد المعاد» (٢/ ٣٠، ٤/ ٣٣٥).

(٦) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ٣٣٤، ٢/ ٢٩ ـ ٣٠)، «محاسن التَّأويل» (٢/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٧) «شرح البخاري» لابن بطَّال (٤/ ٢٣، ٢٦)، «الاستذكار» (١٠/ ٢٤٧)، «لطائف المعارف» (ص١٧٣ ـ ١٧٤)، «إكمال المعلم» (٤/ ١١٠)، «فتح الباري» (٤/ ١٠٤، ١٤٧)، «محاسن التَّأويل» (٢/ ٧٥)، «تفسير التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٢/ ١٥٩).

(٨) انظر: «حجَّة الله البالغة» (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٩) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» (ص٤٣)، «لطائف المعارف» (ص١٧٣).

(١٠) انظر: «إكمال المعلم» (٤/ ١١٢)، «المفهم» (٤/ ١١٢)، «لطائف المعارف» (ص١٧٦)، «فتح الباري» (٤/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(١١) انظر: «شرح ابن بطَّال على البخاري» (٤/ ١٥٠)، «إكمال المعلم» (٤/ ١١٤).

(١٢) انظر: «عارضة الأحوذي» (٣/ ٩٨)، «المفهم» (٣/ ١٣٦)، «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ٢٤٦)، «فتح الباري» (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(١٣) انظر: «لطائف المعارف» (ص١٧٣)، «محاسن التَّأويل» (٢/ ٧٤).

حديث: «لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة»

دراسة حديثية فقهية

د/كمال قالمي

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على منهاجهم واقتفى.

أمَّا بعد، فهذه دراسة حديثيَّة فقهيَّة لحديث طَالما كَثُرَ فيه الخلاف من حيث الثُّبوتُ والاستدلالُ في مسألة جواز الاعتكاف في سائر المساجد، أو عدم جوازه إلَّا في المساجد الثَّلاثة: المسجد الحرام بمكَّة، والمسجد النَّبوي بالمدينة، والمسجد الأقصى ببيت المقدس ـ نسأل الله تعالى أن يُحَرِّرَهُ من أيدي اليهود الغاصبين، ويطهِّره من رِجْس إخوان القِرَدَةِ المعتدين، إنَّه خير مسؤول وأكرم مَأْمُول ـ.

أحببت أن أُدْلِيَ فيها بهذا البحث المتواضع، راجيًا من الله تعالى أن ينفعني به، ومن شاء الله من إخواني المسلمين، فأقول وبه سبحانه وتعالى أستعين:

الحديث يرويه سفيان بن عيينة، عن جامع ابن أبي راشد.

وقد اخْتُلِفَ فيه على سفيان، فرواه عنه جماعة مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ، ورواه آخرون عنه موقوفًا على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من قوله.

أ ـ رواية الرَّفع:

أخرجها أبو جعفر الطَّحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٢٠١) (٢٧٧١) من طريق هشام بن عمَّار، حدَّثنا سفيان بن عيينة، عن جامع ابن أبي راشد، عن أبي وائل، قال: قال حُذيفة رضي الله عنه لعبد الله (يعني ابن مسعود رضي الله عنه): عكوف بين دارك ودار أبي موسى لا تغيِّر! وقد علمتَ أنَّ

رسولَ الله ﷺ قال: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ**»، قال عبد الله: لعلَّك نسيتَ وحفِظُوا، أخطأْتَ وأصابوا!

أبو وائل هو شقيق بن سلمة الأَسَدِيّ الكوفيّ، ثِقَة مُخَضْرَمٌ.

وجامع بن أبي راشد الكاهليّ الكوفيّ، ثقة فاضل.

وسفيان بن عيينة الهلاليّ أبو محمَّد الكوفيّ، أحد الأئمَّة الحفَّاظ الثِّقات.

وهشام بن عمَّار أبو الوليد الدِّمشقيّ، قال الحافظ في «التَّقريب»: «صدوق مُقْرِئ، كبِر فصار يتلقَّن فحديثه القديم أصحُّ».

وتابع هشام بن عمَّار ثلاثة آخرون، وهم:

١ ـ محمَّد بن الفرَج، عند أبي بكر الإسماعيليّ في «معجم شيوخه» (٣٣٦).

ومحمَّد بن الفرج بن عبد الوارث البغداديّ، صَدُوقٌ، روى عنه مسلمٌ.

٢ ـ ومحمود بن آدم المروزيُّ، عند البيهقيّ في «سننه الكبرى» (٤/ ٣١٦).

ومن هذا الطَّريق رواه الذَّهبيّ في «سير أعلام النُّبلاء» (١٥/ ٨١)، وقال عقبه: «صحيحٌ غريبٌ عالٍ».

ومحمود بن آدم المروزيّ، قال أبو محمَّد بن أبي حاتم في «الجرح والتَّعديل» (٨/ ٢٩٠): «كتب إلى أبي وأبي زُرعة وإليَّ، وكان ثقةً صدوقًا»، ووثَّقه أيضًا الدَّارقطني في «سؤالات أبي عبد الرَّحمن السُّلميّ له» (٣١٨)، وذكره ابن حِبَّان في «الثِّقات» (٩/ ٢٠٢).

وفي «التَّقريب»: «صدوق، ذكره ابن عدي في شيوخ البخاريّ[1]».

٣ ـ وسعيد بن منصور؛ لكنَّه شكَّ في مَتْنِه.

فأخرجه في «سننه»[2] ورواه من طريقه ابن الجوزيّ في كتابه «التَّحقيق في أحاديث الخلاف» (١١٨١) قال: حدَّثنا سفيان، عن جامع بن أبي راشد، عن شقيق بن سَلَمَة قال: قال حذيفة لعبد الله بن مسعود: قد علمت أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ** ـ أو قال: **مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ** ـ».

وسعيد بن منصور أبو عثمان الخراسانيّ نَزِيلُ مكَّةَ، قال الحافظ في «التَّقريب»: «ثقة مصنِّف، وكان لا يرجع عمَّا في كتابه لشدَّة وثوقه به».

والظَّاهر أنَّ الشَّكَّ في قوله: «**أَوْ مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ**» غير محفوظ في هذه الرِّواية؛ لأنَّ حذيفة رضي الله عنه إنَّما أنكر على أولئك القوم، وهم عكوف في مسجد

الكوفة الأكبر ـ كما سيأتي في رواية إبراهيم النَّخعيّ ـ.

فمن أعلَّ الحديث بمجرَّد هذا الشَّكِّ فما أنصف؛ إذْ لا تأثير للشَّكِّ في هذه الرِّواية، وعليه تكون رواية سعيد موافقة لرواية من تقدَّم ذكرُهم، هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث الرِّواية فمن رواه ـ سواء كانت رفعًا أو وقفًا ـ بدون شكٍّ أكثر، فتُقدَّم روايتُهم.

فالمتنُ المحفوظ إذَنْ بلفظ: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ**»؛ ولكن يبقى البحث في صحَّة إضافته للنَّبيِّ ﷺ فيكون مرفوعًا، أو إلى صحابيِّه فيكون موقوفًا.

فقد رواه هؤلاء الأربعة عن سفيان بن عيينة، بإسناده مرفوعًا إلى النَّبيِّ ﷺ.

وخالفهم ثلاثة آخرون فرووه عن سفيان ابن عيينة موقوفًا على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهي:

ب ـ رواية الوقف:

١ ـ عبد الرَّزَّاق الصّنعاني.

فأخرجه في «مصنَّفه» (٤/ ٣٤٨) عن ابن عُيَيْنَة، عن جامع بن أبي راشد، قال: سمعت أبا وائل يقول: قال حذيفة لعبد الله: قومٌ عكوفٌ بين دارك ودار أبي موسى لا تنهاهم! فقال له عبد الله: فلعلَّهم أصابوا وأخطأت، وحفظوا ونسيت؟! فقال حذيفة: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا فِي هَذِهِ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ: مَسْجِدِ المَدِينَةِ، وَمَسْجِدِ مَكَّةَ، وَمَسْجِدِ إِيلْيَاء**».

ورواه من طريقه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (٩/ ٣٠٢)، وعزاه له الهيثميّ في «مَجْمَع الزَّوائد» (٣/ ٤٠٤) وقال: «رجاله رجال الصَّحيح».

٢ ـ سعيد بن عبد الرَّحمن.

٣ ـ محمَّد بن أبي عمر.

وروايتهما عند الفاكهي في «أخبار مكَّة» (١٣٣٤) قالا: ثنا سفيان بإسناده، مثله غير أنَّه لم يذكر قولَ ابن مسعود لحذيفة: «لعلَّهم أصابوا...».

وسعيد بن عبد الرَّحمن هو أبو عبيد الله المخزوميّ المكيّ، ثقة، كما في «التَّقريب»، وقال مسلمة بن قاسم الأندلسي في كتاب الصِّلة ـ كما في «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٥/ ٣١٩) ـ: «أخبرنا عنه غير واحد، وهو ثقة في ابن عيينة».

ومحمَّد بن أبي عمر، نسب إلى جدِّه وهو محمَّد ابن يحيى بن أبي عمر أبو عبد الله العدنيّ نزيل مكَّة، قال الحافظ في «التَّقريب»: «صدوق، صنَّف «المسند»، كان لازم ابن عيينة؛ لكن قال أبو حاتم: كانت فيه غفلة»، قلت: روى عنه مسلمٌ في «صحيحه» وأكثر عنه، وقال التِّرمذي في «جامعه» عقب حديث (٢٤٧): «سمعتُ ابن أبي عمر

يقول: اختلفتُ إلى ابن عيينة ثمانيةَ عشر سنة».

تنبيه: عدَّ العلَّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدِّين الألبانيّ ـ تغمَّده الله برحمته وطيَّب ثراه ـ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٦/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩) وحاشية (٢) من (ص٦٧٥) هذين الرَّاويَيْن فيمن رواه مرفوعًا، وليس كذلك؛ فسبحان من لا يسهو!

الخلاصة: بعد استعراض هذه الطُّرق والرِّوايات ، والنَّظر في اختلافها ـ رفعًا ووقفًا ـ والتَّأمُّل في أحوال الرُّواة وتراجمهم، نَخْلُصُ إلى أحد المسلكين: الجمع بينها ـ إن أمكن ـ، أو ترجيح بعضها على بعض:

١ ـ مسلك الجمع: فيقال: إنَّ كِلا الطَّريقين محفوظ؛ لأنَّه يجوز أن يحدِّث الصَّحابي بالحديث في أوقات مختلفة، فتارة يحدِّث به على سبيل الرِّواية فيرفعه، وتارة على سبيل الفُتْيا فيوقفه.

قال الخطيب البغداديّ ـ رحمه الله ـ في «الكفاية» (٢/ ٥١٦) ـ بعد أن قرَّر هذا الأمر ـ قال: «وقد كان سفيان بن عيينة يفعل هذا كثيرًا في حديثه، فيرويه تارة مسندًا مرفوعًا، ويقفه مرَّة أخرى قصدًا واعتمادًا».

قلت: وهذا المسلك ـ وهو مسلك الجمع ـ أولى من التَّرجيح المستلزم لتوهيم بعض الثِّقات ولاسيما إذا كانوا جمعًا، وهم متقاربون في الحفظ والضَّبط والعدد.

ولكن يعكِّر على هذا أنَّها قصَّة واحدة لم تتكرَّر، ولا سيما مع اتِّحاد مخرج الحديث، فالصَّواب في مثل هذا المصير إلى ترجيح إحدى الرِّوايتين على الأخرى[٣]، وهو:

٢ ـ مسلك التَّرجيح: فإمَّا أن تُرجَّح رواية الرَّفع؛ لأنَّها زيادة من الثِّقة وهي مقبولة.

وإمَّا أن تُرجَّح رواية الوقف؛ لوجود قرائن تقتضي ذلك، وسيأتي ذكرها.

فأمَّا ترجيح الرَّفع ففيه نَظَرٌ؛ لأنَّ قاعدةَ قبول زيادة الثِّقة مطلقًا إنَّما تجري على طريقة الفقهاء والأصوليِّين وبعضِ مَنْ تأثَّر بهم مِن المحدِّثين، وأمَّا أئمَّةُ الحديث ونقَّادُه فليس لهم في ذلك منهج مطَّرد، وإنَّما لهم في كلِّ حديث حكمٌ خاصٌّ بحسبِ ما يَحْتَفُّ به من قرائن.

فأحيانًا يرجِّحون المسند أو الرَّفع، وأحيانًا الإرسال أو الوقف، كما يحكمون في المتون بقبول الزِّيادة تارةً، وبردِّها تارةً أخرى.

نقل الحافظ ابن حجر في «النُّكت» (٢/ ٦٠٤)



عن الحافظ ابن دقيق العيد في مقدّمة كتابه «شرح الإلمام» أنَّه قال: «من حكى عن أهل الحديث أو أكثرهم أنَّه إذا تعارض رواية مُرْسِلٍ ومُسْنِدٍ، أو رَافِعٍ ووَاقِفٍ، أو نَاقِصٍ وزَائِدٍ أنَّ الحكم للزَّائد فلم يصبْ في هذا الإطلاق؛ فإنَّ ذلك ليس قانونًا مطَّردًا وبمراجعة أحكامهم الجزئيَّة يُعرفُ صوابُ ما نقول».

وقال الحافظ العَلائيّ في كتابه «نظم الفرائد» (ص٢٠٩) بعد نقُولاتٍ عن الأصوليِّين في هذه المسألة قال: «فهذا كلامُ بعضِ أئمَّة الأصول ممَّن وقفتُ عليه، وأمَّا أئمَّةُ الحديث فالمتقدِّمون منهم كيحيى بن سعيد القطَّان وعبد الرَّحمن بن مهديّ ومن بعدهما كعليّ بن المدينيّ، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وهذه الطَّبقة، وكذلك من بعدهم كالبخاريّ وأبي حاتم وأبي زرعة الرَّازِيَيْنِ، ومسلم، والنَّسائيّ، والتِّرمذيّ وأمثالهم، ثمَّ الدَّارقطنيّ والخليليّ، كلُّ هؤلاء يقتضي تصرُّفهم في الزِّيادة قبولًا وردًّا التَّرجيح بالنِّسبة إلى ما يقوى عند الواحد منهم في كلِّ حديث، ولا يحكمون في المسألة بحُكم كُلِّيٍّ يعمُّ جميع الأحاديث، وهذا هو الحقُّ الصَّواب».

ولذلك لما أعلَّ الإمامُ الدَّارقطنيّ حديثًا بالإرسال، أجاب عن ذلك الحافظ ابنُ الجوزيّ بهذه القاعدة: بأنَّ الرَّفعَ زيادة، والزِّيادة من الثِّقة مقبولة، فتعقبَّه الحافظ ابنُ عبد الهادي بقوله: «وهذه الطَّريقة الَّتي سلكها المؤلِّفُ (يعني ابنَ الجوزيّ) ومن تابعه: في أنَّ الأخذَ بالمرفوع في كلِّ موضع، طريقةٌ ضعيفةٌ، لم يسلكْها أحدٌ من المحقِّقين وأئمَّة العلل في الحديث»[٤].

ومن القرائن الَّتي يرجّح بها الوقف في حديثنا هذا: ما أخرجه عبد الرَّزَّاق في «مصنَّفه» (٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨)، وابن أبي شيبة في «مصنَّفه» (٢/ ٣٣٧)، والطَّبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٠١) من طريق سفيان الثَّوريّ، عن واصل الأحدب، عن إبراهيم، قال: «جاء حذيفةُ إلى عبد الله، فقال: ألا أعجبك من ناسٍ عكوفٌ بين دارك ودار الأشعريّ؟ قال عبد الله: فلعلَّهم أصابوا، وأخطأتَ! فقال حذيفة: ما أُبالي أفيه أعتكفُ أو في بيوتكم هذه، إنَّما الاعتكاف في هذه المساجد الثَّلاثة: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى»، كان الَّذين اعتكفوا ـ فعاب عليهم حذيفة ـ في مسجد الكوفة الأكبر.

وقال ابنُ حزم في «المحلَّى» (٥/ ٢٨٦): رُوِّينا من طريق عبد الرَّزَّاق بإسناده، فذكره وفيه أنَّ الَّذي قال: «كان الَّذين اعتكفوا... » هو إبراهيم النَّخعيّ نفسُه، ورجاله ثِقات، إبراهيم هو ابن يزيد النَّخعيّ الكوفيّ الثِّقة الفقيه.

وواصل هو ابن حَيَّان الأَحْدَب الأَسَدِيّ الكوفيّ، ثقة ثَبْتٌ، كما في «التَّقريب».

ورواية إبراهيم النَّخعي عن ابن مسعود ظاهرها الانقطاع؛ لأنَّه لم يسمع منه، ولم يدرك هذه القصَّة، غير أنَّ لها حكم الاتِّصال، فقد صحَّ عن سليمان الأعمش أنَّه قال: «قلت لإبراهيم النَّخعيّ: أَسْند لي عن عبد الله بن مسعود، فقال إبراهيم: إذا حدَّثتُكَ عن رجلٍ عن عبد الله فهو الَّذي سمَّيتُ، وإذا قلتُ: قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله»، رواه التِّرمذي في كتاب «العلل» المطبوع في آخر «الجامع» (٥/ ٧٠٩).

قال الحافظ ابن رجب الحنبليّ في «شرح العلل» (٢/ ٥٤٢): «وهذا يقتضي ترجيح المرسل على المسند؛ لكن عن النَّخعيّ خاصَّة، فيما أرسله عن ابن مسعود خاصَّة».

ونظرًا لهذه القاعدة صحَّح العلَّامة الألبانيُّ ـ رحمه الله ـ في «الإرواء» (٢/ ١٣١) إسنادَ أثرٍ آخرَ من رواية إبراهيم عن ابن مسعود.

وممَّا يدلُّ على أنَّ المرفوع غير محفوظ، أنَّ أحدًا من أصحاب ابن عيينة الكبار الَّذين ألَّفوا «المسند» لم يخرجْهُ في «مسنده»[٥]، كالإمام أحمد، والحُمَيْديّ، وأبي داود الطَّيَالِسِيّ، وأبي بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن منيع البغويّ، وابن أبي عمر العدنيّ، إلَّا الحافظ سعيد بن منصور الَّذي رواه في «سننه» على شكٍّ منه في لفظه.

ثمَّ هكذا الطَّبقة الَّتي تلي هؤلاء ممَّن ألَّف في الجوامع والصِّحاح والسُّنن لم يحتجُّوا به ولا عرَّجوا عليه؛ ولذلك وصفه الحافظ الذَّهبي ـ كما سبق ـ بالغرابة، وإن كان حَكَمَ بصحَّتِهِ فإنَّما ذلك بناءً على ظاهر إسناده، وهو كذلك لو لم يرد ما يخالفه ويعلُّه.

قد يقول قائل: سلّمنا بأنَّه لم يصح رفعه حقيقة؛ لكن ألا يكون له حكم الرَّفع؛ كما يُشعر بذلك قول حذيفة لابن مسعود ـ كما في رواية الفاكهيّ الموقوفة ـ: «وقد علمت أنَّه لا اعتكاف...إلخ»، إذْ لا يقال مثل ذلك إلَّا ما كان سبيله النَّقل والرِّواية، لا ما كان سبيله الاستنباط والاجتهاد ؟

الجواب:

أوَّلًا ـ إنَّ هذا الحرف أعني قوله: «قد علمت» ورد في الرِّوايات الموقوفة على وجهين:

الوجه الأوَّل: بلفظ: «وقد علمت»، وهذا يحتمل أن يسند الفعل إلى ضمير المخاطَب: «علمتَ»، ويحتمل أيضًا إسناده إلى ضمير المتكلِّم: «علمتُ».

فعلى الاحتمال الأوَّل: فالجواب بأنَّ المخاطَب بذلك وهو ابن مسعود نفسه لم يقرَّه، بل أنكر على حذيفة قوله:

«قد علمتَ» وصرَّح بأنَّه نَسِيَ وحَفِظَ غيرُه.

وعلى الاحتمال الآخر فلا إشكال فيه؛ لأنَّ حذيفة ﭬ يخبر عمَّا عَلِمه هو من حال النَّبيِّ ﷺ، وقد نزلتْ عليه الآية الكريمة ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ «وهو معتكِفٌ في مسجده وكان القصد والإشارة إلى نوع ذلك المسجد ممَّا بناه نبيٌّ»[٦].

والمراد بها المساجد الثَّلاثة، وهذا الاحتمال يؤيِّده:

الوجه الآخر: بلفظ: «أما أنا فقد علمتُ»، كما في رواية مغيرة بن مقسم، عن إبراهيم النَّخعيّ المشار إليها قريبًا، وهذا لا يحتمل إسناده إلَّا إلى ضمير المتكلِّم.

فيكون ما فهمه حذيفة ﭬ هو محض الاجتهاد؛ ولذلك لم يوافقه عليه ابن مسعود، بل خطَّأه في الاستدلال بقوله: «وأخطأتَ وأصابوا» ، كما خطَّأه في الدَّليل بقوله: «لعلَّك نسيتَ وحفظوا».

ثانياً ـ على فرض ثبوت رفعه ـ حقيقة أو حكمًا ـ فقد تأوَّله بعض أهل العلم توفيقًا بينه وبين الآية الكريمة الَّتي جرى عمل السَّلف على عمومها، فحملوا النَّفي في قوله: «لا اعتكاف» على نفي الكمال، لا نفي الصِّحة[٧].

قال العلَّامة الشَّيخ العثيمين ـ رحمه الله ـ في «فتاويه» (٢٠/ ١٦٢): «فهذا (يعني حديث حذيفة) ـ إنْ سلم من القوادح ـ فهو نفيٌ للكمال، يعني: أنَّ الاعتكاف الأكمل ما كان في هذه المساجد الثَّلاثة، وذلك لشرفها وفضلها على غيرها، ومثل هذا التَّركيب كثير، ـ أعني أنَّ النَّفي قد يراد به نفي الكمال لا نفي الحقيقة والصِّحة. مثل: قوله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ**» وغيره، ولا شكَّ أنَّ الأصل في النَّفي أنَّه نفيٌّ للحقيقة الشَّرعية أو الحسِّيَّة؛ لكنْ إذا وُجد دليلٌ يمنع ذلك تعيَّن الأخذ به، كما في حديث حذيفة، هذا على تقدير سلامته من القوادح، والله أعلم».

قلت: وهذه الاحتمالات والتَّقديرات على فرض صحَّة حديث حذيفة أو تنزُّلًا عند من يقول بأنَّه في حكم المرفوع، وإلَّا فقد تبيَّن ـ فيما سبق ـ بأنَّه لم يثبت رفعه حقيقة، كما أنَّه لا يأخذ حكم الرَّفع مادام للاجتهاد فيه مدخل؛ ولو صحَّ رفعه حقيقة أو حكمًا لاسْتمرَّ عليه العمل.

وإنَّما «كان المسلمون عليه من الاعتكاف في مساجد بلدانهم، إمَّا مساجد الجماعات الَّتي تقام فيها الجُمُعات، وإمَّا هي وما سواها من المساجد الَّتي لها الأئمَّة والمؤذِّنون على ما قاله أهل العلم في ذلك»[٨].

بل لا يُعرف من قال بقول حذيفة من الصَّحابة ولا التَّابعين إلَّا ما جاء عن سعيد ابن

المسيِّب أنَّه قال: «لا اعتكاف إلَّا في مسجد نبيٍّ»[٩].

وصحَّ أيضًا عن عطاء بن أبي رباح أنَّه قال: «لا جوار إلَّا في مسجد جامع، ثمَّ قال: لا جوار إلَّا في مسجد مكَّة، ومسجد المدينة»[١٠].

ولم يذكر بيت المقدس، فدلَّ على أنَّ مأخذه في ذلك غير حديث حذيفة هذا المختلف فيه.

وأيضًا ما ذهبَا إليه محمول ـ والله أعلم ـ على الأفضل والأكمل، يوضِّح ذلك ما رواه عبد الرَّزَّاق في «مصنَّفه» (٨/ ٤٥٥) عن معمر، عن عبد الكريم الجزريّ، عن ابن المسيِّب، قال: «من نذر أن يعتكف في مسجد إيلياء فاعتكف في مسجد النَّبيِّ ﷺ بالمدينة أجزأ عنه، ومن نذر أن يعتكف في مسجد النَّبيِّ ﷺ فاعتكف في المسجد الحرام أجزأ عنه، ومن نذر أن يعتكف على رؤوس الجبال فإنَّه لا ينبغي له ذلك **ليعتكفْ في مسجد جماعة**»، ورجاله ثقات.

كما روى عبد الرَّزَّاق أيضًا (٤/ ٣٥١) عن ابن جريج، عن عطاء أنَّه قال: «الخير من المساجد أحبُّ إليه أن يُجاور[١١] فيه الإنسان، وإن كان نَذرَ جوارًا بغيره ـ يعني أنَّ الخير من المساجد ما جاء فيه الفضل، مسجد مكَّة، ومسجد المدينة، ومسجد إليا».

وزاد في رواية أخرى: قال ابن جريج: قلت: فنذرَ جوارًا على رؤوس هذه الجبال ـ جبال مكَّة ـ أيقضي عنه أن يجاور في المسجد؟ قال: نعم، **المسجد خيرٌ وأطهر**، قلت: وكذلك في كلِّ أرض؟ قال: نعم...»[١٢].

وهذا الَّذي عليه جماهير أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار من الأئمَّة المتبوعين وغيرهم: جواز الاعتكاف في سائر مساجد المسلمين على خلافٍ فيما بينهم هل يُشترط أن يكون مسجدًا جامعًا تُقام فيه الجمعة أو مسجد جماعة أو في كلِّ مسجد ولو لم تُقَمْ فيه الجمعةُ ولا الجماعة؟[١٣].

تمسَّكًا بعموم ظاهر الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في «الموطَّأ» (٣/ ٣١٣): «فعمَّ الله المساجد كلَّها، ولم يخصَّ شيئًا منها».

وقال النَّوويّ ـ رحمه الله ـ في «المجموع» (٦/ ٥٠٧): «ووجه الدّلالة من الآية لاشتراط المسجد أنَّه لو صحَّ الاعتكاف في غير المسجد لم يخصَّ تحريم المباشرة بالاعتكاف في المسجد؛ لأنَّها منافية للاعتكاف، فعلم أنَّ المعنى بيان أنَّ الاعتكاف إنَّما يكون في المساجد، وإذا ثبت جوازه في المساجد صحَّ في كلِّ مسجد، ولا يقبل تخصيص

من خصَّه ببعضها إلَّا بدليل، ولم يصحَّ في التَّخصيص شيء صريح».

وقال العلَّامة محمَّد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ في «فتاويه» (٢٠/ ١٦١): «ولفظ المساجد عامٌّ لجميع المساجد في أقطار الأرض، وقد جاءتْ هذه الجملةُ في آخر آياتِ الصِّيام الشَّامل حكمها لجميع الأمَّة في جميع الأقطار، فهي خطاب لكلِّ مَنْ خُوطِبُوا بالصَّوم؛ ولهذا خُتمتْ هذه الأحكام المتَّحدة في السِّياق والخطاب بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومن البعيد جدًّا أن يخاطب الله الأمَّة بخطاب لا يشمل إلَّا أقلّ القليل منهم» اهـ.

واعلمْ أنَّ الآية وإن كانت عامَّة في جميع المساجد، فإنَّ «العُرف خصَّص المسجد بالمكان المهيَّأ للصَّلوات الخمس، حتَّى يخرج المصلَّى المجتمع فيه للأعياد ونحوها»[١٤].

كما يخرج أيضًا المساجد التي تُتَّخذ في البيوت[١٥]، فإنَّه لا يجوز للرِّجال الاعتكاف فيها بالإجماع[١٦].

وأمَّا المرأة فقد اختلفوا في جواز اعتكافها في مسجد بيتها، فرخَّص فيه بعضُ أهل العلم، ومنهم من جعله أفضل من مسجد قومها.

والرَّاجح أنَّه لا يصحُّ اعتكافها إلَّا في المسجد العامِّ؛ لأنَّ مسجد البيت وإنْ أطلق عليه اسم «مسجد» غير أنَّه لا يثبت له أحكام المساجد كجواز بيعها وغير ذلك، ولذلك لم يعتكف أزواجُ النَّبيِّ ﷺ في بيوتهنَّ، وإنَّما كنَّ يعتكفن في مسجده ﷺ، ولو كان ذلك جائزًا لاعتكفن في حُجُراتهنَّ فإنَّه أرفق وأيسر لهنَّ من ملازمة المسجد[١٧].

وأمَّا الرَّجل فأولى الأقوال بالصَّواب وأوسطها ـ في نظري ـ القول بجواز الاعتكاف في كلِّ مسجدٍ تقام فيه الصَّلوات الخمس (وهو ما يعرف بمسجد جماعة)؛ لأنَّ الجماعة واجبة وما لا يتمُّ به الواجب فهو واجب؛ ولأنَّ الاعتكاف في مسجد لا تقام فيه الجماعة يفضي إلى أحد أمرين: إمَّا ترك الجماعة الواجبة، وهذا لا يجوز لغير عذر شرعيٍّ، وإمَّا خروجه إلى الجماعة في مساجد أخرى فيتكرَّر ذلك منه في اليوم واللَّيلة خمس مرَّات، وهذا مناف لمقصود الاعتكاف الَّذي هو لزوم المعتكَف والإقامة على طاعة الله فيه[١٨].

ويدلُّ على ذلك ما أخرجه الدَّارقطنيّ في «سننه» (٢/ ٢٠١) من طريق ابن جريج، أخبرني

الزُّهريّ ـ عن الاعتكافِ وكيف سنّتُه ـ، عن سعيد ابن المسيِّب، وعروة بن الزُّبير، عن عائشة أخبرتهما: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتَّى توفَّاه الله، ثمَّ اعتكف أزواجه من بعده»، «وأنَّ السُّنَّة في المعتكِف: أنْ لا يخرج إلَّا لحاجة الإنسان، ولا يتَّبع جنازة، ولا يعود مريضًا، ولا يمسّ امرأةً ولا يباشرها، **ولا اعتكاف إلَّا في مسجد جماعة**، وسنَّة من اعتكفَ أنْ يصوم»، وإسناده صحيح، ابن جريج صرَّح بالإخبار.

قال الدَّارقطنيّ: «يقال: إنَّ قوله: «وأنَّ السُّنَّة للمعتكف» إلى آخره، ليس من قول النَّبيِّ ﷺ، [و][19] أنَّه من كلام الزُّهريّ، ومَنْ أدرجه في الحديث فقد وَهِم».

ورواه البيهقيّ في «السُّنن الكبرى» (٤/ ٣١٥، ٣٢٠)، وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٤٢٣)، وفي «معرفة السُّنن والآثار» (٦/ ٣٩٥) من طريق يحيى ابن بكير، ثنا اللَّيْثُ، عن عُقيل، عن ابن شِهاب، عن عُرْوَة بن الزُّبير عن عائشة: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر...» الحديث، بنحو رواية ابن جريج.

قال البيهقيّ في «المعرفة»: «قد أخرج البخاري، ومسلم صَدْرَ هذا الحديث في «الصَّحيح» إلى قوله: «والسُّنَّة في المعتكف أن لا يخرج»، ولم يخرجا الباقي لاختلاف الحفَّاظ فيه: منهم من زعم أنَّه من قول عائشة، ومنهم من زعم أنَّه من قول الزُّهريّ، ويشبه أن يكون من قول من دون عائشة ...».

قلت: ورد عن عائشة ﵂ من قولها صريحًا، وهو ما رواه أبو داود (٢٤٧٣) من طريق عبد الرَّحمن ابن إسحاق، عن الزُّهريّ، عن عروة، عن عائشة ﵂ أنَّها قالت: «السُّنَّة على المعتكِف... الحديث، وفيه: **ولا اعتكاف إلَّا في مسجد جامع**»، ولم يذكر صدر الحديث.

لكن أعلَّه أبو داود بتفرُّد عبد الرَّحمن ابن إسحاق حيث جعله من قول عائشة، وأنَّ غيره من أصحاب الزُّهريّ لا يقول ذلك.

وعلى كلِّ حال، فلو ثبت: «من السُّنَّة للمعتكف... إلخ» أنَّه من قول عائشة، فهو مرفوع قطعًا على الصَّحيح.

وأمَّا إذا كان من قول عروة بن الزُّبير؛ وهو أحد فقهاء التَّابعين الكبار بالمدينة، وقد أدرك جماعة من الصَّحابة، فقوله: «من السُّنَّة كذا» من غير إضافة إلى أحد يحتمل أنَّه يعني سنَّة النَّبيِّ ﷺ[20].

وأمَّا إذا كان ذلك من قول الإمام ابن شِهاب

الزُّهريّ، فلا أقلَّ من أن يكون أراد بذلك «السُّنَّة المعروفة الَّتي استمرَّ عليها العمل»[٢١].

وكيفما كان فهو يصلح للاستدلال ـ أو للاستئناس ـ على مشروطيَّة مسجد جماعة ـ وهو الأصحُّ من لفظ: «مسجد الجامع» ـ.

ولا شكَّ أنَّ الاعتكاف في المساجد الثَّلاثة أفضل مِن سواها من المساجد لما فيها من الفضائل ومضاعفة الأجر ما ليس لغيرها، وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم[٢٢].

ثمَّ من الأفضل أيضًا أن يكون الاعتكاف في المسجد الَّذي تقام فيه الجمعة والجماعة، إذا كان اعتكافه يتخلَّله جمعة، لئلَّا يضطرَّ إلى الخروج من معتكفه.

فإنِ اعتكف في مسجدٍ لا تقام فيه الجمعة فالأظهر من أقوال أهل العلم أنَّه لا بأس بذلك، وخروجه إلى صلاة الجمعة لا يبطل اعتكافه؛ لأنَّه خروج لفريضة لابدَّ منه، ولا يتكرَّر بخلاف صلاة الجماعة.

ثمَّ كلَّما كَبرَ المسجد وكَثُرَ أهلُه فهو أفضل؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى**»[٢٣].

هذا كلُّه من حيث المكان، وأما الزَّمان، فأفضله في شهر رمضان، وبالأخصِّ أواخره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعتكف العَشْرَ الأَواخِرَ من رمضان حتَّى توفَّاه اللهُ تعالى، ثمَّ اعتكف أزواجُه مِنْ بعدِه»[٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يعتكفُ في كلِّ رمضان عشْرة أيَّامٍ، فلمَّا كان العامُ الَّذي قُبض فيه اعتكف عشرين يوْمًا»[٢٥].

وفي الختام يَجْدُرُ التَّنْبيه على أنَّه لا يُشرع السَّفر إلى أيِّ مسجدٍ كان ـ سوى المساجد الثَّلاثة ـ لأجل الاعتكاف فيه بحجَّة أنَّه أكبر أو أقدم من مساجد مدينته؛ لقوله ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[٢٦].

وفي رواية لمسلم: «**إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلْيَاء**».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ: «وهذا النَّهي يعمُّ السَّفرَ إلى المساجد والمشاهد، وكلَّ مكان يُقصد السَّفر إلى عَيْنِه للتَّقَرُّب»[٢٧].

والاعتكاف من أجلِّ الطَّاعات، وأعظم القُربات، والله تعالى أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) والصَّواب أنَّ البخاريّ إنَّما روى عن محمود بن غيلان المروزيّ، كما جزم بذلك الحافظ في «هدي السَّاري» (ص٢٣٩)، وقال: «وفي طبقته محمود بن آدم المروزيّ، ولم يخرج عنه البخاريّ شيئًا».

(٢) انظر: «منتقى الأخبار» (٤/ ٣٠١ ـ مع «نيل الأوطار»).

(٣) انظر: «النّكت» لابن حجر (٢/ ٦١١).

(٤) انظر: «تنقيح التَّحقيق» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٥) ومن هذه المسانيد ما هو مطبوع متداول، ومنها ما دخل في الزَّوائد، كـ«المطالب العالية» لابن حجر، و«إتحاف الخيرة المهرة» للبوصيريّ، والحديث يعتبر من الزَّوائد على الكتب السِّتَّة.

(٦) قاله ابن عبد البرّ في «الاستذكار» (١٠/ ٢٧٣).

(٧) انظر: «بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع» (٣/ ٢١).

(٨) قاله أبو جعفر الطّحاويّ في شرح مشكل الآثار (٧/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٩) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنَّفه» (٢/ ٣٣٧)، وإسناده صحيح. قال الحافظ أبو زرعة العراقيّ في «طرح التّثريب» (٤/ ٢٧٣): «وهو بمعنى الذي قبله (يعني قول حذيفة)؛ ولهذا جعلهما ابن عبد البرّ قولاً واحداً».

(١٠) رواه عنه عبد الرَّزَّاق في «مصنَّفه» (٤/ ٣٤٩) عن ابن جريج عنه، وزاد في رواية: «قال ابن جريج: قلت لعطاء: فمسجد إلياء (يعني بيت المقدس)؟ قال: لا يجاور إلَّا في مسجد مكَّة، ومسجد المدينة».

(١١) قال ابن حزم في «المحلَّى» (٥/ ٢٨٥): «وقد صحَّ عن عطاء أنّ الجوار هو الاعتكاف»!

قلت: ولم أقف عليه، والذي رواه عبد الرَّزَّاق (٤/ ٣٤٥) عن ابن جريج أنَّه قال: قلت لعطاء: «أرأيت الجوار والاعتكاف أمختلفان هما أم شيء واحد؟ قال: بل هما مختلفان»، وإسناده صحيح، ومنهم من جعلهما بمعنى واحد، والمسألة خلافية، انظر: «طرح التَّثريب» (٤/ ١٦٦) وما بعدها.

(١٢) «مصنَّف عبد الرَّزَّاق» (٤/ ٣٥١) بإسناد صحيح.

(١٣) انظر: «المبسوط» لأبي بكر السرخسيّ الحنفيّ (٢/ ١١٥)، و«فتح القدير» لابن الهمام الحنفيّ (٢/ ٣٩٣)، و«بداية المجتهد» (٢/ ٦١٠)، و«الاستذكار» (١٠/ ٢٧٤)، و«المجموع» للنوويّ (٦/ ٥٠٥)، و«المغني» لابن قدامة (٤/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)، و«المحلى» لابن حزم (٥/ ٢٨٤)، و«صحيح الإمام البخاري» (٤/ ٢٧١ ـ مع «فتح الباري»).

(١٤) قاله أبو بكر بن زيد الجراعيّ الصّالحي (ت٨٨٣هـ) في أثناء تعريفه المسجد في عرف الشّرع في كتابه «تحفة الرّاكع والسّاجد بأحكام المساجد» (ص٤٩).

(١٥) المراد بها الأماكن المعتزلة المهيّأة للصّلاة، وقد بوَّب الإمام البخاريّ في «صحيحه» بقول: باب المساجد في البيوت، قال ابن رجب الحنبلي في كتابه «فتح الباري» (٢/ ٣٧٧): «مساجد البيوت هي أماكن الصَّلاة منها، وقد كان من عادة السَّلف أن يتَّخذوا في بيوتهم أماكن معدَّة للصَّلاة فيها».

(١٦) حكى الإجماع غير واحد، منهم: ابنُ عبد البَرِّ في «التَّمهيد» (٨/ ٣٢٥)، وابن قدامة في «المغني» (٤/ ٤٦١ ـ ط. التركيّ)، وابن رشد في «بداية المجتهد» (٢/ ٦١٠)، وابن حجر في «الفتح» (٤/ ٢٧٢)، واستثنى الأخيران محمَّد بنَ عمر بن لبابة المالكيّ الَّذي أجاز الاعتكاف في غير المسجد.

قلت: وروي عن الشَّعبيّ جواز الاعتكاف في مسجد البيت؛ ولكن لا يصحُّ. رواه عبد الرزّاق (٤/ ٣٥٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٣٧).

(١٧) انظر: «المحلى» (٥/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، و«المغني» (٤/ ٤٦٤)، و«المجموع» للنَّوويّ (٦/ ٥٠٥)، و«طرح التَّثريب» (٤/ ١٧١).

(١٨) انظر: «المغني» لابن قدامة (٤/ ٤٦١).

(١٩) زيادة من «نصب الرّاية» (٢/ ٤٨٧)، وفي قول الدّارقطنيّ: «ليس من قول النَّبيّ ﷺ» إشكالٌ أجاب عنه العلاّمة الألبانيّ في «الإرواء» (٤/ ١٤٠).

(٢٠) وبه جزم ابن عبد البر، كما في «نزهة النَّظر» (ص١٣٥)، وفي «النُّكت» لابن حجر (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥): أنَّ سعيد بن المسيِّب سُئِل عن مسألة فقال: «سنَّة»، فقال الشَّافعي: الَّذي يشبه قول سعيد: «سنَّة» أن يكون أراد سنَّة النَّبيِّ ﷺ».

قلت: وعروة بن الزّبير، وسعيد بن المسيّب في طبقة واحدة، معدودان في كبار التّابعين، وهما من الفقهاء السّبعة بالمدينة، فإنْ أرادا بذلك سنّة النبيّ ﷺ كان مرسلاً، ومرسل كبار التّابعين حجّة عند بعض الأئمّة.

(٢١) قاله الحافظ ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في «تهذيب مختصر سنن أبي داود» (٣/ ٣٤٩).

(٢٢) انظر: «الإشراف على مذاهب العلماء» لابن المنذر (٣/ ١٦٠).

(٢٣) رواه أبو داود (٥٥٤)، والنَّسائي (٨٤٤)، وأحمد (٥/ ١٤٠) من حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

وصحَّحه ابن خزيمة (١٤٧٧)، وابن حبَّان (٢٠٥٦)، ورواه الحاكم (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩) وذكر الاختلاف فيه وبسط ذلك، ثمَّ قال: «قد حكم أئمَّة الحديث يحيى ابن معين، وعلي بن المديني، ومحمَّد بن يحيى الذُّهليّ، وغيرهم لهذا الحديث بالصِّحَّة»، ونقل ابن حجر في «التَّلخيص» (٢/ ٢٦) تصحيحه عن ابن السَّكن والعقيليّ. وحسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٦٣).

(٢٤) رواه البخاريّ (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٢٥) رواه البخاريّ (٢٠٤٤).

(٢٦) رواه البخاريّ (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢٧) «اقتضاء الصِّراط المستقيم» (٢/ ١٨٢).

رؤية هلال رمضان ووحدة الأمة الإسلامية

د/ رضا بوشامة

الحمد لله القائل في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

وبعد: فإنَّ وجوه الخير في هذه الأمَّة كثيرةٌ متنوِّعة، ومن خيريَّتها عنايتُها بدِينها؛ ومظاهرُ عناية الأمَّة الإسلامية بالدِّين متنوِّعة أيضًا، تتجدَّد بتجدُّد المناسبات الدِّينيَّة ومواسم العبادة، ومن أهمِّ المناسبات الَّتي تمرُّ على المسلمين كلَّ عام دخولُ شهر رمضان الكريم بإهلال هلاله بالأمن والإيمان والسَّلامة والإسلام، يَعْتَنِي المسلمون برؤية هذا الهلال الَّذي جعله الله تعالى أَمَارةً لدخول هذا الشَّهر ووجوب صيامه؛ قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، قال ابن كثير في «تفسيره»: «هذا إيجاب حَتْمٍ على من شهد استهلال الشَّهر، أي كان مقيمًا في البلد حين دخل شهر رمضان، وهو صحيحٌ في بَدَنِه أن يصوم لا محالة»[١]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا...**»[٢] يعني الهلال.

ومن فضل الله تعالى على عباده وتيسيره عليهم ورفع الحرج عنهم أن جعل العبادات الَّتي تعتمد على المواقيت مرتبطة بالعلامات الظَّاهرة الَّتي يمكن لكلِّ مسلم جاهل أو عالم من أهل البادية أو الحاضرة أن يراها ويعلمها، لذا جعل رؤيةَ الهلال علامة دخول شهر رمضان وانتهائه، فيسَّر على كلِّ من أراد معرفة الشَّهر أن يراه بعينه المجرَّدة.

لذلك اعتنى أهلُ الإسلام على تباعد أقطارهم وأوطانهم منذ بعثة نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة

والسَّلام ـ بترائي هلالِ رمضان وترقُّبه، يجمعهم في ذلك وحدةُ الدِّين والعقيدة، وامتثالُ أوامر الله ورسوله عليه الصَّلاة والسَّلام.

وهذه الرُّؤية يختلف فيها المسلمون بين مُثْبِتٍ ونافٍ، وكان اختلافهم ولا زال في الصَّوم والإفطار أمرًا دائرًا بينهم، من أسبابه في الزَّمن الأوَّل: تباعد الأقطار وصعوبة نقل الأخبار؛ إذ قد يُرى الهلال في بلد من بلاد المسلمين ويُبلِّغون من قدروا على تبليغهم الخبر اليقين، ولا يراه غيرهم لبُعدهم وعدم وصول خبر من رآه من غير أهل بلدهم، فيُصبح هؤلاء صائمين وأولئك مفطرين وكلُّهم على قلب رجل واحد؛ إذ لم يكن اختلافهم عن تعمُّد وناتجًا عن بغضاء وشحناء واختلاف آراء وسياسات، إنَّما بحسب ظهور الهلال وعدمه.

وفي العصور المتأخِّرة منَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على الأمَّة الإسلامية بنِعمٍ لا يُحصيها إلَّا الله سبحانه من وسائل الاتِّصال بدءًا بالتِّلفون والرَّاديو، وانتهاءً اليوم بما نراه ونسمعه من آليَّات وتقنيَّات تكاد تجعل الأرض في محيط لا يتجاوز عرضه وطوله مترًا على متر.

ومع حرص المسلمين اليوم على ترائي الهلال وترقُّبه، إلَّا أنَّه ما أن يحلَّ وقتُ التَّبليغ والإعلام إلَّا رأيتَ العجب العُجاب من اختلاف كلمة المسلمين في البلد الواحد، هذا مفطر وذاك صائم، يتكلَّم الجاهل بجهله ويُفتي الغِرُّ بغروره.

واجتماع المسلمين على هلال رمضان يحمل آثارًا من الوحدة والائتلاف والتآلف والتَّآزر؛ لأنَّ التَّوحيد في الصَّوم والإفطار يزيد في جمال العبادة بجمال الاتِّحاد فيها، والتَّقرُّب إلى الله بتقارب القلوب فيه، واتِّحادهم في الصَّوم له عدَّة مزايا، فهو يغذِّي قوَّة المسلمين الرُّوحيَّة، ويمدُّ قوّتهم الماديَّة بالتَّحابب والتَّآزر والتَّعاطف والتَّناصر، وهم في أشدِّ الحاجة إلى ذلك بعد أن ضعفت قواهم وتداعت عليهم الأمم الكافرة كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، كما أنَّ الاختلاف في الصَّوم والإفطار يَذهب بجمال الشَّعيرة ويطمس أعلام الحكمة فيها.

فالواجب على المسلمين وعلى حكوماتهم الاعتناء برؤية الهلال عنايةً فائقة ببذل الجهود في توحيد كلمتهم وتعميم خبر الصَّوم والإفطار عبر الوسائل الكثيرة إلى الأماكن القريبة والبعيدة.

لكن ينبغي للمسلمين أن لا يختلفوا على أئمَّتهم وولاة أمورهم في مسألة الصَّوم والإفطار، وأن لا يكون ذلك سببًا في كراهية بعضهم بعضًا وتنافر قلوبهم، ذلك أنَّ الفقهاء اختلفوا في مسألة رؤية الهلال؟ هل رؤيته في بلد يلزم كلَّ البلاد

الأخرى، أم أنَّ لكلِّ بلد رؤيته الخاصَّة؟ لاختلاف مطالع الهلال.

فإنْ كان اختلاف المسلمين ناتجًا عن اختلاف نظرتهم واجتهادهم في أمر يسوغ الاجتهاد فيه ـ بَعد بذل الوُسْع في معرفة الحقِّ والصَّواب ـ فهذا يشفع لهم اختلافهم في يوم صومهم وفطرهم؛ وذلك أنَّ للإمام حقَّ الاجتهاد وحقَّ تبليغ دخول الشَّهر من عدمه إن كان يرى أنَّ رؤية بلد لا توجب الصَّوم على بلد آخر لاختلاف المطالع، وإن كان الصَّواب في المسألة أنَّ المطالع متَّحدة، والأمَّة الإسلامية اليوم يُمكنها الاجتماع على هلال واحد صومًا وإفطارًا إذا بلغتهم الرُّؤية كما قرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية[3] وغيره، وهذا من حيث البحثُ والتَّحقيقُ، فالَّذي يمكن ترجيحه من مذاهب العلماء هو القول بتوحيد الرُّؤية ووحدة ولادة القمر فقهًا وكونًا، وهذا الَّذي يتحقَّق بتحقيقه وحدة المسلمين في صومهم وفطرهم وتآلفهم واتِّفاقهم وعدم اختلافهم، خاصَّةً بعد الَّذي نشاهده وتشاهده الأمَّة اليوم من تطوُّرات في وسائل الاتصال والإعلام، وهذا ما لم يرَ الإمام والحاكم خلافه، فإن رأى خلاف هذا القول فيُعمل بقوله ويرجع إليه؛ لأنَّ حكمه اجتهاد يرفع النِّزاع والاختلاف بين أهل البلد الواحد، ولا يجوز مخالفته طاعة لله ورسوله ولأئمَّة المسلمين وتوحيدًا لكلمتهم.

ولا ينبغي أن يكون تفرُّق المسلمين واختلافهم في يوم صومهم وفطرهم ناتجًا عن خلافات سياسيَّة ومذاهب فكريَّة واعتقادات باطلة؛ إذ أنَّ هذا الأمر دينٌ وطاعة لربِّ العالمين، لا دخل للسِّياسات والاختلافات فيه، فالأمر متعلِّق برؤية هلالٍ جعله ربُّ العالمين علامةً لوجوب الصَّوم والإفطار، فمتى ما رُؤِيَ وجب الصَّوم طاعةً لربِّ الأرض والسَّماء، وامتثالًا لأمره وتنفيذًا لحكمه وعملًا بركنٍ من أركان الإسلام الخمسة.

جعله الله تعالى شهرَ خيرٍ وبركة، وأهلَّه علينا بالأمن والإيمان والسَّلامة والإسلام، ورفع عن أمَّة الإسلام ما حلَّ بها من أزمات ونكبات، وجمعها على الخير والهدى والرَّشاد، والحمد لله ربِّ الأرض والسَّموات.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٨١).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٠٣ ـ ١١٢).

معالم النصر في غزوة بدر

عز الدين رمضاني

إنَّ الصِّيام فريضةٌ عظيمة، ومنَّة من الله على عباده جسيمة، يربِّي في النُّفوس الإرادات والملكات، ويغرس في جنابها الفضائل والكمالات، وفيه تتدرَّب النُّفوس على حمل المكروه وتحمُّل المشاقِّ والأعباء، وضبط نوازع الهزل والعبث فيها والتَّحكُّم في الأهواء.

وفي الصَّوم امتحانٌ لصبر الإنسان، والصَّبر رائدُ النَّصر وطاردُ الخذلان، وقد جعله الله زمنًا للنَّشاط وتكثيف الطَّاعات، وموسمًا للبذل والتَّسابق في الخيرات، فلا يصحُّ أن يكون مدعاة للعجز والكسل، أو ذريعة إلى التَّقصير في السَّعي والعمل؛ لأنَّه من النَّاحية الصِّحِّيَّة يعطي قوَّة للجسم، ويدفع عنه كثيرًا من الأمراض، ويشفي فيه كثيرًا من العلل، وهو من النَّاحية المعنوية يهب المسلم قوَّة الإيمان وصفاء النَّفس ونقاء الرُّوح الَّتي لها أكثر الأثر في سعادة الأمَّة وذلك في كلِّ زمان ومكان.

ودليل هذا ذلكم السِّجلُّ الحافل بالانتصارات القاهرة، والمنجزات الباهرة الَّتي حقَّقها النَّبيُّ ﷺ ورعيل الصَّحابة ومن بعدهم من صالحي هذه الأمَّة في فتوحاتهم وحروبهم في مثل هذا الشَّهر المبارك الكريم الَّذي هو شهر رمضان.

والمتأمِّل في سيرة سيِّد البريَّات ﷺ، وما صامه من رمضانات، وما حصل له فيها من نفحات ومكرمات، ما بين فتح وجهاد، ونصر وتمكين، يجد ـ وبلا شكٍّ ـ ما يثير العظة والاعتبار، ويبعث في نفسه بوادر الإجلال والإكبار.

ففي شهر رمضان كانت تبعث السَّرايا، وتجهَّز الجيوش، وتُخاض المعارك، وتبلَّغ الدَّعوة، فيه هدِّمت

أصنام الجاهلية الكبرى ـ اللَّاة ومناة وسواع ـ، وفيه هُدم مسجد الضِّرار، وفيه قدمت الوفود من كلِّ حَدَبٍ وصَوْبٍ تشهر بيعتها وتعلن إسلامها.

إنَّه رمضان الإيمان في أوج قوَّته وأبهى حلله، ورمضان الجهاد في أسمى معانيه من جهاد نفس وعدو، ورمضان الدَّعوة إلى الله في ذروة عطائها ومدِّها.

وفي هذه الإطلالة وقفة على أوَّل غزوة من غزوات النَّبيِّ ﷺ الَّتي شهدها بنَفْسه، وأمدَّها بنَفَسه، دارت رحاها في شهر رمضان الخير، تجلَّت فيها المعاني المتقدِّمة الذِّكر: الإيمان والقوَّة والدَّعوة، وبهذه الثَّلاث تبنى دعائم النَّصر المبين، وتحبك معاقد العزِّ والتَّمكين لأمَّة سيِّد المرسلين، ويقوم لها أمر الدُّنيا والدِّين، وبين يديك ـ أيُّها القارئ اللَّبيب ـ قبسات وإشارات من هدي المصطفى الحبيب ﷺ، مستلَّة من بعض مواقفه في غزوة بدر، جلَّيتها لك في مشاهد وصور، تُنبئ عن ما وراءها من عبر ودُرَرٍ.

أوَّلًا ـ تعريف موجز بغزوة بدر وما أعقبها من أحداث:

غزوة بدر هي أكرم المشاهد وأعظم غزوات النَّبيِّ ﷺ، وأرفع شأنًا وأسمى ذكرًا، أنزل الله فيها سورة تتلى إلى يوم الدِّين، وهي سورة الأنفال، سمِّيت بغزوة بدر الكبرى، وبغزوة بدر العظمى، وبيوم وقعة بدر، وببدر القتال، وببدر البَطْشَة، وسمَّاها الله بيوم الفرقان، وبيوم التقى الجمعان، حيث يقول جلَّ جلاله: ﴿**وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١].

وقد تقرَّر عند العلماء أنَّ كلَّ ما عظم شأنه وفشا نبؤه، تعدَّدت صفاته وكثرت أسماؤه، وهذا مهيع كلام العرب، وهو كثير في أشعارهم وأخبارهم.

وقد اتَّفقت كلمةُ أهل العلم بالسِّير أنَّها وقعت في شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، قال ابن إسحاق: «فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان»[1].

وقد حقَّق المسلمون فيها انتصارًا كبيرًا ـ على قلَّة عددهم وضعف عدَّتهم ـ على أعدائهم من الكفرة والمشركين، وأعزَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ بهذه الوقعة الإسلام والمسلمين، وحقَّق لهم ما وعدهم من إحدى الطَّائفتين، وخذل الكفر وأهله وكسر شوكة الطُّغيان.

وكان من أعقاب هذا النَّصر العزيز والإنجاز العظيم أنْ عزَّز المسلمون موقعهم وفرضوا وجودهم، وأصبح سلطانهم مهيبًا في المدينة وما حولها، وامتدَّ نفوذهم على طريق القوافل في شمال الجزيرة، وأسلم يومئذ بشر كثير من أهل المدينة رغبة ورهبة.

قال ابن القيِّم في «الزاد» (٣/ ١٧٧): «ودخل

النَّبيُّ ﷺ المدينة مؤيَّدًا مظفرًا منصورًا قد خافه كلُّ عدوّ له بالمدينة وحولها، فأسلم بشرٌ كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرًا».

ثانيًا ـ صور من اهتمام النَّبيِّ ﷺ بشحذ النُّفوس بالإيمان:

ويظهر هذا الاهتمام من خلال الإقبال على أسباب زيادة الإيمان وتقويته من الطَّاعات والقربات، وأجلّ طاعة وأعلاها قدرًا الصَّلاة.

ولقد بالغ النَّبيُّ ﷺ ـ قبل مضيِّه إلى هذه الغزوة وأثناءها ـ في الاهتمام بهذه الشَّعيرة إقامة ودعوة إليها وحثًّا على عدم تضييعها، لما للصَّلاة من إظهار الذُّلِّ والخضوع، وإعلان الافتقار والخنوع بين يدي ربِّ العالمين، وقد جعلها الله تعالى قُرَّةَ عين المطيع ونعيمَه وفرحَه وسرورَه، وملجَأَه الَّذي يطرح فيه كلَّ همومه وغمومه وشروره، كما في قول سيِّد المطيعين وأقربهم إلى ربِّ العالمين ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[٢].

ويتجلَّى هذا الاهتمام بأمر الصَّلاة في:

١ ـ استخلاف النَّبيِّ ﷺ على الصَّلاة بالمدينة ابن أمِّ مكتوم رضي الله عنه: قال ابن إسحاق: «وخرج رسول الله ﷺ في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه واستعمل ابن أم مكتوم على الصَّلاة بالنَّاس»[٣].

وهذا من اهتمام النَّبيِّ القائد بأمر الصَّلاة، فإنَّ إقامتها في المساجد واجتماع النَّاس فيها على إمام واحد، وإن كانت الأمَّة في أحلك الظُّروف وأحرج المواقف، تقاتل الأعداء وتراقب الأنحاء، فهو حريٌّ بجلب النَّصر ونزول المدد وكسر شوكة العدوِّ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»[٤]، وفي هذا تعبئة لجموع الأمَّة ـ وإن كانوا من أهل الأعذار ـ أن يكونوا مع إخوانهم المجاهدين في قتالهم للكفَّار، وترغيب لهم في نيل الأجر من الكريم الغفَّار.

٢ ـ اشتغال النَّبيِّ ﷺ بالصَّلاة وهو في خضمِّ الإعداد للمعركة: قال ابن القيِّم في «الزَّاد» (٣/ ١٧٥): «وسار المشركون سِراعًا يريدون الماء، وبعث عليًّا وسعدًا والزُّبير إلى بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله ﷺ قائم يصلِّي...».

فانظر ـ رعاك الله ـ حتَّى وهو ﷺ يدير رحى الحرب، وينظم الجند، ويهيِّئ الجيش ويختار المواقع، ويشاور الأصحاب، ويتحسَّس الأخبار، لا يغفل عن الصَّلاة والدُّعاء، ولا يقطع حبل الأرض بالسَّماء، في ضراعة وإلحاح، يستنزل النَّصر، ويناشد المعونة والمَدَد.

٣ ـ إحياء النَّبيِّ ﷺ لليلة القتال بالقيام بين

يدي الكبير المتعال: قال ابن القيِّم في «الزَّاد» (٣/ ١٧٩): «وبات رسول الله ﷺ يصلِّي إلى جذع شجرة هناك، وكانت ليلة الجمعة السَّابع عشر من رمضان في السَّنة الثَّانية».

عن علي رضي الله عنه قال: «لقد أتينا ليلة بدر وما فينا إلَّا نائمًا، إلَّا النَّبيّ ﷺ فإنَّه كان يصلِّي إلى شجرة ويدعوه وما كان فينا فارس إلَّا المقداد»[٥].

ولا يخفى ما في إحياء ليلة كاملة بالذِّكر والصَّلاة، والدُّعاء والمناجاة، واغتنام الزَّمن الفاضل من زيادة الإيمان وحصول الأجر الهائل، كلُّ ذلك استعدادًا للقتال وتأهُّبًا للنِّزال، بقوَّة الإيمان وصحَّة التَّوحيد وصدق التَّوكُّل وكمال التَّفويض والتَّسليم لربِّ العالمين.

٤ ـ فزع النَّبيِّ ﷺ ومن معه إلى ربِّ الأرض والسَّماء بصنوف الدُّعاء: قال ابن القيِّم في «الزَّاد» (٣/ ١٧٦): «فلمَّا طلع المشركون، وتراءى الجمعان، قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْش جَاءَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، جَاءَتْ تحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ**»[٦]، وقام ورفع يديه، واستنصر ربَّه، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ**»، فالتزمه الصِّدِّيق من ورائه، وقال: يا رسول الله! أبشر، فوالَّذي نفسي بيده لينجزنَّ الله لك ما وعدك[٧].

واستنصر المسلمون الله، واستغاثوه وأخلصوا له، وتضرَّعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته ﴿**أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله ﴿**أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩**﴾ [الأنفال: ٩]».

وقال ابن كثير واصفًا يوم الوقعة الشَّهيرة، وما وقع فيها من الآيات الكثيرة: «هذا وقد تواجه الفئتان وتقابل الفريقان، وحضر الخصمان بين يدي الرَّحمن، واستغاث بربِّه سيِّد الأنبياء، وضجَّ الصَّحابة بصنوف الدُّعاء إلى ربِّ الأرض والسَّماء، سامع الدُّعاء وكاشف البلاء»[٨].

وقد سجَّل لهم القرآن هذا الموقف العظيم الدَّالَّ على كمال عبوديَّتهم لله وصدق توكُّلهم عليه وطمعهم في تأييده ونصره فقال: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠**﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٠].

ثالثًا ـ صُوَر من أخذ النَّبيِّ ﷺ بمظهر القوَّة والشَّجاعة والبلاء الحسن:

قال ابن كثير في «سيرته» (٢/ ٤٢٤): «وقد



قاتل بنفسه الكريمة قتالًا شديدًا ببدنه، وكذلك أبو بكر الصِّدِّيق، كما كانا في العريش يجاهدان بالدُّعاء والتَّضرُّع، ثمَّ نزلَا فحرَّضا وحثَّا على القتال، وقاتلَا بالأبدان جمعًا بين المقامين الشَّريفين».

وروى الإمام أحمد بسنده إلى علي رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدوِّ، وكان من أشدِّ النَّاس يومئذ بأسًا»[٩].

وفي جهاده ﷺ للأعداء يوم بدر، ونزوله إلى ساحة القتال دليل على أنَّ النَّصر لم يكن خارقة غيبية، وإن كانوا يعتقدون أنَّ النَّصر من عند الله يهبه لمن يشاء، ولكن لا يهبه إلَّا بأسبابه، والله إذا أراد شيئًا هيَّأ أسبابه، فالأخذ بأسباب القوَّة المادِّيَّة والتَّخطيط للمعركة والتَّأهُّب لها بالعدَّة والعَدَد لا ينافي التَّوكُّل على الله وتفويض الأمر له والاستعانة به، بل هو أمر واجب يجري على السُّنن المعتادة، ومن اعتقد خلاف هذا فقد غفل عن سنن الله أو قصَّر في استقرائها، وإن شئت أن تفقه هذه السُّنَّة الكونيَّة والشَّرعية فانظر إلى ما كان من فعل النَّبيِّ ﷺ في وقعة بدر، وأخذه بأسباب الحيطة والقوَّة والتَّدبير، وإجادته لفنِّ القتال وحسن التَّنظيم والتَّأمير، قال ابن القيِّم في «الزَّاد» (٣/ ١٨٢): «وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفِّه من الحصباء، فرمى بها وجوه العدوِّ، فلم تترك رجلًا منهم إلَّا ملأت عينيه، وشغلوا بالتُّراب في أعينهم، وشغل المسلمون بقتلهم، فأنزل الله في شأن هذه الرَّمية على رسوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]».

ومحلُّ الشَّاهد من هذا النَّصِّ إثبات الأخذ بالأسباب وأنَّها لا تنافي التَّوكُّل المأمور به، قال ابن القيِّم معلِّقًا على ما سبق: «وقد ظنَّ طائفة أنَّ الآية دلَّت على نفي الفعل عن العبد، وإثباته لله، وأنَّه هو الفاعل حقيقة، وهذا غلط منهم من وجوه عديدة... ومعنى الآية: أنَّ الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرَّمي، ونفى عنه الإيصال الَّذي لم يحصل برميته، فالرَّمي يراد به الحذف والإيصال، فأثبت لنبيِّه الحذف، ونفى عنه الإيصال».

رابعًا ـ صور من قيام النَّبيِّ ﷺ بواجب البلاغ والدَّعوة إلى الله وثوابه:

وقد كان هذا قبل المعركة بقليل، قبل أن يحمى الوطيس، وتستدير رحى الحرب ويشتدّ القتال، تثبيتًا للمؤمنين، ورفعًا لمعنويَّاتهم، وتخذيلًا لمقالة أهل السُّوء والنِّفاق حين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

قال ابن القيِّم في «الزَّاد» (٣/ ١٨١): «ولَّما دنا العدوُّ وتواجه القوم، قام رسول الله ﷺ في النَّاس، فوعظهم وذكرهم بما لهم في الصَّبر والثَّبات من النَّصر، والظَّفَر العاجل، وثواب الله الآجل، وأخبرهم أنَّ الله

قد أوجب الجنَّة لمن استشهد في سبيله...».

وقد حصل من وعظ النَّبيِّ ﷺ لأصحابه في ذلك المقام، من أنواع الفتح والنَّصر والبلاء الحسن والثَّبات على الأقدام، ما لا يُعوض بكبير قوَّة وإمداد، أو حسن تأهُّب وإعداد، من حصول السَّكينة والاطمئنان، وطرد أسباب الفشل والخذلان، وهو من أهمِّ عوامل النَّصر والثَّبات، قال ابن كثير في «سيرته» (٢/ ٤٣١): «ثمَّ خرج رسول الله ﷺ من العريش في الدّرع فجعل يحرِّض على القتال، ويبشِّر النَّاس بالجنَّة ويشجِّعهم بنزول الملائكة، والنَّاس بعد على مصافِّهم لم يحملوا على عدوِّهم، حصل لهم السَّكينة والطُّمأنينة».

وكان من أثر هذا الوعظ أيضًا أن تشجَّع أصحابه لبذل أرواحهم في سبيل الله وتنافسهم في ذلك، طمعًا في الجنَّة، واستعجالًا للثَّواب، وهو إحدى مقوِّمات النَّصر أن ترى المقاتل مقبلًا من غير إدبار، مجهزًا على أعدائه دون خوف أو إرجاف، قد قوي إيمانه وعلت معنويَّاته وصغرت الدُّنيا في عينيه، فهذا عُمَيْر بن الحُمَام رضي الله عنه قال: يا رسول الله، جنَّة عرضها السَّماوات والأرض؟ قال: «نَعَمْ»، قال: بخ بخ يا رسول الله! قال: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ**»؟ قال: لا والله يا رسول الله إلَّا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، قال: فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهم، ثمَّ قال: لئن حييت حتَّى آكل تمراتي هذه، إنَّها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التَّمر، ثمَّ قاتلهم حتَّى قتل»[١٠].

إنَّه ليعظم في أعين النَّاس بادي الرَّأي رجال يحسبونهم أوتادًا راسية في الأمَّة، يتوعَّدون العدوَّ بالهزيمة، ويتباهون بالإقدام وقوَّة الشكيمة، شُغلوا بما هم فيه، يتخلَّفون عن مجالس تهذيب الإيمان في مدرسة بدر الَّتي درَّب فيها النَّبيُّ ﷺ جندَه على جهاد العدوِّ، فضاعوا في غياهب الأضاليل ومنتهم موعدة الأباطيل، فإنَّما النَّصر إكليل لا يتوَّج به صريع في ساحة تخلَّى فيها جندها عن عُدَد الإيمان ومدد التَّقوى والإحسان.

---

(١) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن كثير (٢/ ٤٦٩)، و«عيون الأثر» (١/ ٢٨١)، و«جوامع السِّيرة» (ص٨٦).

(٢) رواه أحمد (١٢٣١٥) وغيره، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٥٢٦١).

(٣) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن كثير (٢/ ٣٨٧).

(٤) صحيح: أخرجه النَّسائي (٣١٨٧).

(٥) أخرجه الطَّيالسي في «المسند» (٢٣٤٢) بسند صحيح.

(٦) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٤).

(٧) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٨) «السِّيرة النَّبويَّة» لابن كثير (٢/ ٤١٢).

(٩) رواه أحمد في «المسند» (٦٥٤)، وإسناده صحيح.

(١٠) مسلم (١٩٠١) وأحمد (٣/ ١٣٦، ١٣٧).

أثر الصوم
في تزكية النفوس وتهذيب السلوك

د/ عبد المجيد جمعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين، نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خَلَقَ الخلقَ لعبادته الجامعة لتوحيده ومحبَّته ومعرفته، ولتحقيق هذه الغاية العظيمة، شرع لهم من الأحكام ما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد إحسانًا إليهم ورحمةً بهم وتمام نعمته عليهم، وقد استقرَّت العقول السَّليمة والفطر المستقيمة على حسن الشَّريعة واشتمالها على الحكمة والمصلحة والعدل والرَّحمة.

ومن محاسن التَّشريع مشروعيَّة الصَّوم، فقد فرضه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في شهر رمضان، وجعله النَّبي ﷺ أحد أركان الإيمان، وما شرعه الله تعالى من أجل تعذيب خلقه بالجوع والعطش، وتحميلهم مشقَّته، بل شرعه سبحانه لِحِكَمٍ عُظْمَى وفوائد كبرى يتجلَّى فيها مدى حسنه:

من أعظمها وأجلِّها أنَّه يوجب تقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وهي فعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وهي الحكمة الَّتي ذكرها الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه حيث قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، والحقُّ أنَّ كلَّ الحِكَم الَّتي تستفاد من الصَّوم فإنَّها ترجع إلى أصل التَّقوى، فهي رأس الأمر وجماع الخير، فما استعان أحد على تقوى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وحفظ حدوده، واجتناب محارمه بمثل الصَّوم، ولهذا كان الصَّوم وقاية من عذاب

الله تعالى، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»؛ أي وقاية من النَّار، لأنَّه إمساكٌ عن الشَّهوات، والنَّار محفوفة **بالشَّهوات**.

ومن محاسن الصَّوم أنَّه يربِّي النَّفس على الصَّبر، ويعوِّدها على تحمُّل المشاقِّ في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فهو يجمع أنواع الصَّبر الثَّلاثة: الصَّبر على المأمور، والصَّبر على المحظور، والصَّبر على المقدور، ومن استكمل هذه الأنواع فقد استكمل حقيقة الصَّبر، وبلغ ذروته؛ فيكون صَبرًا على المأمور؛ لأنَّ الصَّائم يحبس نفسه على امتثال أمر الله له بالصَّوم؛ وعلى المحظور؛ لأنَّ الصَّائم يجتنب ما حرِّم عليه؛ وصبرًا على المقدور؛ لأنَّ الصَّائم يحبس نفسه على الرِّضى بما قدّر عليه من ألم الجوع والعطش.

ومنها: أنَّه يعوِّد النَّفس على امتثال أوامر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وإخلاص العمل له، ورجاء ثوابه، لقوله ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1]، يعني: مصدِّقًا بفرض صيامه، ومحتسبًا مريدًا بذلك وجه الله، بريئًا من الرِّياء والسُّمعة.

ومنها: أنَّه وسيلة للاستعفاف، وضبط النَّفس عن هيجانها، وإطفاء نار شهوتها، وتضييق مسالك الشَّياطين من وساوسها، ولهذا حثَّ النَّبيُّ ﷺ الشَّباب الَّذين تعذَّر عليهم الزَّواج، وخشوا على أنفسهم من الفتنة أن يصوموا فقال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[2]، قال الإمام ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ في «روضة المحبِّين» (٢٣٩): «فأرشدهم إلى الدَّواء الشَّافي الَّذي وُضع لهذا الأمر، ثمَّ نقلهم عنه عند العجز إلى البدل، وهو الصَّوم، فإنَّه يكسر شهوة النَّفس، ويضيِّق عليها مجاري الشَّهوة، فإنَّ هذه الشَّهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيَّته، فكميَّة الغذاء وكيفيَّته يزيدان في توليدها، والصَّوم يضيِّق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وِجاء الفَحل، وقَلَّ من أدمن الصَّوم إلَّا وماتت شهوته أو ضعفت جدًّا، والصَّوم المشروع يُعدِّلها».

ومنها: أنَّه وسيلة عظيمة لجهاد النَّفس الذي هو أعظم من جهاد الكفَّار والمنافقين، وذلك لحملها على فعل ما أمرت به وترك ما نهيت عنه، ومنعها من حظوظها وشهواتها محبَّةً لله وطاعةً له، وإيثارًا لمرضاته، وهذا معنى قوله: «**يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»، كي يتعوَّد الصَّائم على قهر نفسه وغلبته عليها حتَّى تنقاد لأمر مولاها ومخالفة



هواها.

ومنها: أنَّه وسيلة لتزكية النَّفس من شهواتها وتطهيرها من أدرانها؛ لأنَّ الصَّائم يدع أحبَّ الأشياء إليه من الطَّعام والشَّراب والجماع من أجل الله تعالى، وهذا معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «**إلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي**»[٣].

ومنها: أنَّه يورث خشية الله تعالى والخوف منه في السِّرِّ فضلًا على العلانيَّة؛ لأنَّ الصَّائم لا يطَّلع عليه أحد بمجرَّد فعله إلَّا الله، فبإمكانه أن ينتهك حرمة الصَّوم بالإفطار دون أن يراه النَّاس؛ لكن يترك ذلك خشيةً من الله تعالى.

ومنها: أنَّ الصَّوم جُنَّة، يحفظ صاحبه من الآثام، ويعصم جوارحه من الوقوع في الحرام، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: «إِنِّي صَائِمٌ» مَرَّتَيْنِ**»[٤]، فالرَّفَثُ هاهنا الفُحش والخَنَا، والجهل هو السَّفَهُ، وقال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[٥].

ومنها: أنَّه يربِّي النَّفس على حسن الخلق والحلم والأناة، وتحمُّل إيذاء النَّاس، ويعوِّدها على كَظْم الغيظ وسكون الغضب، لقوله ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ**»، فيحفظ الصَّائم نفسه من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه، باستمكانها ممَّن غاظها، وانتصارها ممَّن ظلمها.

ومنها: أنَّه يطهِّر النَّفس من الشُّحِّ والبُخل، ويربِّيها على الجود والكرم، كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ الله ﷺ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**»[٦]، وإنَّما كان يعظم جوده في رمضان؛ لأنَّه موسم الخيرات، وفيه تتضاعف الحسنات، وليعين الصَّائمين على صومهم، وَليُفطِّرَهم، فيحصل له مثل أجورهم، وإذا ذاق الصَّائم ألم الجوع والعطش دعاه ذلك إلى التفكُّر في البائس الفقير الَّذي يبيت على الطّوى طول السَّنة، فبادر إلى التَّصدُّق عليه والإحسان إليه.

ومنها: أنَّه يحمل النَّفس على التَّسابق في الخيرات، والتَّنافس في الأعمال الصَّالحات، لقوله

ﷺ: **«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»**[٧].

ومنها: أنَّه يعين الإنسان على تزكية نفسِه وتطهيرها من المحرَّمات والعادات السَّيِّئة المدمن عليها، كمن بُلي بشرب الخمر أو الدُّخان أو العادة السِّرِّيَّة، فإنَّ الصَّوم خير عون له على التَّخلِّي عنها.

فهذه بعض الحِكَم والمعاني الَّتي نجنيها من الصَّوم في تزكية نفوسنا وتهذيب سلوكنا وتربية أجيالنا، ولهذا قال ﷺ: **«عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ»**[٨].

وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٨١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٧٨)، ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١١٥١).

(٤) رواه البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١٧٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (١٨٠٤، ٥٧١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٧) رواه التِّرمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، وصحَّحه الشَّيخ الألباني في «صحيح السُّنن».

(٨) رواه النَّسائي (٢٢٢٣)، وأحمد (٥/٢٤٨) عن أبي أمامة، وصحَّحه الشَّيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في «صحيح الجامع» (٤٠٤٤).



التخلية قبل التحلية

أبرز آثار الصيام

لزهر سنيقرة

الحمد لله الَّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ والصَّلاة والسَّلام على من بُعث لإتمام مكارم الأخلاق.

إنَّ مِنْ أهمِّ ثمرات العبادة ومقاصدها أنَّها جاءت لتهذيب النُّفوس وتزكيتها، يتجلَّى هذا في جميع العبادات ظاهرها وباطنها، ففي الصَّلاة ـ مثلا ـ يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وفي الزَّكاة قوله جلَّ وعلا: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وكذلك عبادة الصِّيام الَّتي يتجلَّى فيها هذا الأصل جلاءً ناصعًا، ويَبْرُزُ بُرُوزًا واضحًا، فهي العبادة العمليَّة لتربية النَّفس وتزكيتها بتحليتها بالفضائل والمحاسن، والتَّحلية من أصول التَّربية، والَّتي لا تتحقَّق إلَّا بالتَّخلية؛ لأنَّ جناحي الإصلاح والتَّربية الصَّحيحة هما: «التَّخلية والتَّحلية»، ولابدَّ من التَّخلية قبل التَّحلية، فلا يكون العبد صادقًا متحلِّيًا بهذه الفضيلة إلَّا إذا تخلَّى عن الكذب، ولن يكون شجاعًا إلَّا إذا تخلَّص من الجبن، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فقد قدَّم الله الكفرَ بالطَّاغوت على الإيمان بالله، وهذا الَّذي تدلُّ عليه كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله».

وبالتَّالي فإنَّه لا يمكن التَّرقِّي في سلَّم السُّلوك إلى الله دون سبق التَّخلِّي عن الرَّذائل والتَّحلِّي بالفضائل.

لأجل هذا ذهب بعض العلماء إلى أنَّ المنهيَّات أشدُّ من المأمورات مستدلِّين بقوله ﷺ: «**فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[(١)]، وهذا الَّذي قد يُعبَّر عنه بالتَّخلية قبل التَّحلية.

فمن آثار الصِّيام تطهير الصَّائم من ذنوبه كما جاء في «الصَّحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، فكما أنَّ للصِّيام الأثر العظيم في حفظ الأجسام ودفع الأسقام، فهو زكاة للأبدان، كما أنَّ الزَّكاة زكاة للمال.

من آثاره الطَّيِّبة في هذا الباب، تدريب النَّفس على ترك الرَّذائل، كيف لا وحقيقة الصِّيام ترك للمباح من الملذَّات ابتغاء مرضاة الله، قال ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ: «**يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**»[(٢)]، فإذا صام ترك غيرها من المحرَّمات.

قال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(٣)].

لهذا كان النَّبيُّ ﷺ يبشِّر أصحابه بقدوم شهر الصِّيام، حتَّى لا تفوتهم فرصته ولا تضيع منهم بركته، «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفتحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّماءِ، وَتُغلقُ فِيهِ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[(٤)].

وإنَّ من فضل الله تعالى على عباده؛ أن هيَّأ لهم المواسم الفاضلة، وما من موسم إلَّا ولله فيه وظيفة من وظائف الطَّاعات يُتقرَّب بها إليه، ولله لطيفة من لطائف نفحاته، يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته، فالسَّعيد من اغتنم مواسم الشُّهور والأيَّام والسَّاعات، وتقرَّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطَّاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النَّفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النَّار وما فيها من اللَّفحات[(٥)].

ومن مظاهر التَّخلية في الصِّيام، بل من الخطوات العمليَّة في ترويض النُّفوس على ترك



الرَّذائل والتَّحلِّي بالفضائل، قوله ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُث وَلَا يَصْخَبْ ـ وفي رواية: وَلَا يَجْهَل، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ**»(٦).

فحقيقة الصِّيام هي حين تزكو هذه النُّفوس وترتفع عن سَفَاسِفِ الأمور وسيِّء الأخلاق، وتتخلَّى عن كلِّ هذه الشَّوائب، فالصِّيام الشَّرعي هو صيام الجوارح كلِّها عن الآثام وخاصَّة اللِّسان عن الكذب والفحش وأن لا يقابل السيِّئة بالسَّيِّئة، وبهذا يتبيَّن أنَّ هذه العبادة مدرسة تربوية برنامجها تحقيق مقصد بعثة النَّبيِّ ﷺ لقوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢**﴾ [الجمعة: ٢].

قال ابن القيِّم(٧): «وتزكية النُّفوس مسلَّم إلى الرُّسل، وإنَّما بعثهم الله لهذه التَّزكية وولَّاهم إيَّاها، وجعلها على أيديهم: دعوةً وتعليمًا، وبيانًا وإرشادًا، لا خلقًا ولا إلهامًا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمَّة...

وتزكية النُّفوس أصعب من علاج الأبدان وأشدُّ، فمن زكَّى نفسه بالرِّياضة والمجاهدة والخلوة الَّتي لم يجئ بها الرُّسل فهو كالمريض الَّذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟

فالرُّسل أطبَّاء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلَّا من طريقهم وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتَّسليم لهم» اهـ.

وكما أنَّ الله هو الشَّافي من أسقام الأبدان إلَّا أنَّنا نسعى في معرفة واتِّباع وتعاطي أسباب الشِّفاء، فالله هو الَّذي يزكِّي النُّفوس كذلك، ويطهِّر القلوب من أدرانها لقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»(٨).

«فإذا تزكَّت نفوسنا وجدنا في حياتنا لذَّة، ولإيماننا حلاوة وفي عقولنا ذكاء وفي أرواحنا شفافية ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢٩**﴾ [الأنفال: ٢٩]، هذا الفرقان هو نور الله الَّذي ينظر به المؤمن فيفرِّق بين الحقِّ والباطل وبين السُّنَّة والبدعة، وبين التَّوحيد والشِّرك، والمعروف والمنكر، وسبيل المؤمن وسبيل

المجرمين، فلا تختلط عليه الأوراق ولا تضطرب لديه القيم، ولا تختلُّ عنده الموازين.

وأمارة التَّزكية مكارم الأخلاق الَّتي تطهِّر النَّفس من شحِّها وحبِّها لذَّاتها، ومن جميع الأمراض الَّتي تسري في الأفراد والمجتمعات والشُّعوب فتفتك بها وتدمِّرها.

ودليل ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»[9].

فإتمام مكارم الأخلاق مقصدٌ للبعثة المحمَّدية، والتَّزكية هدفٌ للرِّسالة المحمَّدية، فثبت أنَّ التَّزكية هي التَّحلي بمكارم الأخلاق»[10].

ولما كانت الأخلاق جبليَّة وكسبيَّة، وجب الحرص على التَّحلِّي بأحسنها ومجاهدة النَّفس وترويضها لمتابعة المنهج النَّبويِّ في ذلك، الَّذي هذه دعوته ومنهجه: «**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**»[11]، فهي دعوة إلى التَّصفية والتَّربية على أساس التَّخلية قبل التَّحلية.

اللَّهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عنَّا سيِّئها، لا يصرف عنَّا سيِّئها إلَّا أنت.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٣) رواه البخاري (٥٧١٠).

(٤) رواه أحمد (٨٩٧٩)، والنسائي (٢١٠٦).

(٥) «لطائف المعارف» (٨).

(٦) رواه البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١١٥١).

(٧) «مدارج الساكين» (٢/ ٣١٥).

(٨) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

(٩) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم (٢/ ٦١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم والألباني في «الصَّحيحة» (٤٥).

(١٠) «ماذا يعني المنهج السَّلفي» لسليم الهلالي (٢٢).

(١١) وهو شطر حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٧)، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢).

فتاوى في الصيام

د/ محمد علي فركوس



السؤال:

* ما حكم من صام اليوم الأوَّل من رمضان في بلده وهو في اليوم الثَّاني في البلد الَّذي انتقل إليه، وقد يصوم أهل ذلك البلد تسعةً وعشرين يومًا (٢٩ يومًا) في حين أنَّه لم يَصُمْ منَ العدد سوى ثمانية وعشرين يومًا (٢٨ يومًا)، فهل يكمل صومه في اليوم الَّذي يفطر فيه أهل البلد المتواجد معهم أم أنَّه يفطر معهم ثمَّ يقضي ما بقي، وما حكم من حدث له العكس بحيث إنَّه صام في بلده يومًا قبل البلد الَّذي انتقل إليه، فماذا يفعل إنْ صام البلد ثلاثين يومًا (٣٠ يومًا)؟ فهل يصوم واحدًا وثلاثين يومًا (٣١ يومًا)؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فالأصل أنَّ المسلم يصوم ويفطر مع الجماعة وعِظَمِ النَّاس وإمامهم حيثما تواجدَ، سواء مع أهل بلده أو مع بلدٍ غيره لقوله ﷺ: «**الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَالفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ، وَالأَضْحى يَوْمَ تُضَحُّونَ**»[1]، وهذا المعنى من وجوب الصَّوم والفطر مع الجماعة في الحديث احتجَّت به عائشة

رضي الله عنها على مسروق حين امتنع من صيام يوم عرفة خشية أن يكون يوم النَّحر، حيث قال: «دَخلتُ على عائشةَ رضي الله عنها يوم عرفة، فقالت: اسقوا مسروقًا سويقًا، وأكثروا حلواه، قال: فقلت: إنِّي لم يمنعني أنْ أصوم اليوم إلَّا أنِّي خفت أن يكون يوم النَّحر، فقالت عائشة رضي الله عنها: النَّحْرُ يَوْمَ يَنْحَرُ النَّاسُ، وَالفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ»[٢].

ومنه يفهم أنَّه في العبادة الجماعيَّة كالصَّوم والإفطار والأضحية والتَّعييد ونحوها لا عبرة فيها للآحاد، وليس لهم التَّفرُّد فيها، ولا أن يتَّبعوا جماعة غير الجماعة الَّتي يتواجدون بينهم، بل الأمر فيها إلى الإمام والجماعة الَّتي وجد معهم صومًا وإفطارًا، وإذا كان حكمهم يلزمه، فإنْ أفطر لأقلَّ من تسعةٍ وعشرين يومًا مع البلد الَّذي انتقل إليه وجب أن يقضي بعده ما نقص من صومه؛ لأن الشَّهر القمري لا ينقص عن تسعة وعشرين يومًا ولا يزيد عن ثلاثين يومًا لقوله ﷺ: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا**»[٣]، وكذلك إذا أكمل صيام ثلاثين يومًا ثمَّ انتقل إلى بلد بقي على أهله صيامُ يوم أو أكثر وجب عليه موافقتهم في صومهم، وما زاده من الشَّهر كان له نفلًا كما يوافقهم في فطرهم والتَّعييد معهم تحقيقًا لرغبة الشَّريعة في وحدة المسلمين واجتماعهم في أداء شعائرهم الدِّينيَّة وإبعادهم عن كلِّ ما يفرِّق صفَّهم ويشتِّت شملهم، فإنَّ يد الله مع الجماعة.

والعلم عند الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا.



في حكم قيام رمضان ليلةَ الشَّكِّ

السُّؤال:

*** ما حكم صلاة التَّراويح ليلة الشَّكِّ، قبل الإعلان عن دخول أوَّل رمضان، وكذا بالنِّسبة لليلة الشَّكِّ لأوَّل شوَّال؟ وبارك الله فيكم.**

الجواب:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِهِ وإخوانِهِ إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فصلاةُ التَّراويحِ سنَّةٌ مؤكَّدةٌ للرِّجال والنِّساء

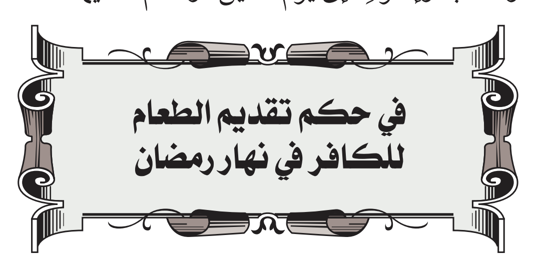


في رمضانَ، وهي من شعائر الإسلام الظَّاهرةِ، وتعلُّقُها برمضان يقتضي بدء قيامها من أوَّل ليلة من رمضان جماعةً، وأفضل وقتِها أوَّل اللَّيل بعد صلاة العشاء، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ ـ يَعْنِي آخِرَ اللَّيْلِ ـ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ»[٤]، وقد أشار الإمامُ أحمدُ إلى هذا الأثرِ حين سُئل: يُؤخَّر القيام ـ أي التَّراويح ـ إلى آخر الليل؟ فقال: «لا، سُنَّةُ المسلمينَ أحبُّ إليَّ»[٥].

كما ينتهي وقتُها مع آخر رمضان لقوله ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٦]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي منَ اللَّيلِ في حُجرتِه وجِدارُ الحجرةِ قصيرٌ، فرأى النَّاسُ شخصَ النَّبيِّ ﷺ فقام أُناسٌ يُصلُّونَ بصلاتهِ، فأَصبَحوا فتحدَّثوا بذلك، فقامَ ليلةَ الثَّانيةِ فقام معَهُ أُناسٌ يُصلُّون بصلاتِهِ، صنعوا ذلك ليلَتين أو ثلاثًا، حتَّى إذا كان بعدَ ذلك جلسَ رسولُ الله ﷺ فلم يَخرُجْ، فلمَّا أصبحَ ذكرَ ذلكَ النَّاسُ، فقال: «**إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْكُمْ صَلاَةُ اللَّيْلِ**»[٧]، ففي الحديثين دليلٌ على مشروعيَّة صلاة اللَّيل في رمضان جماعةً وذلك يستلزم إيقاعها في ليالي رمضان دون ما قبله أو ما شكَّ أنَّه من رمضان حتَّى يتيقَّن، ولا ينبغي له ترضية النَّاس بمخالفة المشروع؛ لأنَّه مداهنة منهيّ عنها بقوله تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩**﴾ [القلم: ٩]، وقوله ﷺ: «**مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَنْهُ النَّاسَ**»[٨].

وإذا لم تكن اللَّيلة من رمضان فلا يقيمها لهم، وله أن يقوم اللَّيل إذا اعتاد قيامه وأفضل أوقاته في الثُّلث الأخير من اللَّيل ليتعرَّض للنَّفحات العظيمة في تلك الأوقات.

والعلمُ عند الله تعالى، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، وسَلَّم تسليمًا.



في حكم تقديم الطعام للكافر في نهار رمضان

السُّؤال:

*** ما حكم تقديم الأكل إلى الكفَّار في شهر رمضان؟**

الجواب:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على من أرسله اللهُ رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فالأصلُ أنَّ الكفَّار مخاطبون بالإيمان إجماعًا وبفروع الشَّريعة على الأصحِّ من أقوال أهلِ العلم.

ومن فروع الشَّريعة: الصِّيام، وحكمه: وجوب الصِّيام على الكافر بعد تحقيق شرط الإيمان، أي: أنّ الكافر مُطَالَبٌ بالصِّيام باعتباره فرعًا من فروع الشَّريعة؛ لكن مع تحصيل شرطها الَّذي هو الإيمان، وعليه فكما لا يجوز التَّعاون على إطعام العاصي من المسلمين من غير عُذْرٍ فكذلك الكافر، لوجوب الإيمان والصِّيام عليه، لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ**﴾ [المائدة: ٢].

والعلمُ عند الله تعالى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا.



السؤال:

*** ما حكم مسابقات حفظ القرآن والعلوم الشَّرعية؛ الَّتي تقام بالمساجد للطَّلبة، تشجيعًا لهم على مُواصلة الطَّلب والحفظ، وما حكم تخصيصها بليلة السَّابع والعشرين؟ وبارك الله فيكم.**

الجواب:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَنْ أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِهِ وإخوانِهِ إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فلا مانعَ من جواز المسابقات ـ في حدِّ ذاتها ـ على حِفْظِ القرآن الكريم ومعرفةِ معانيه وحفظِ الحديث النَّبويِّ ودراستِه، والفقهِ الإسلاميِّ وأصولِه وغيرِها من العلوم النَّافعة، تقصُّدًا في معرفة الصَّواب فيها من الخطأ في القضايا المطروحة في المسابقات، بل يُرَغَّبُ فيها، حيث تبعث المسابقاتُ



العلميَّةُ في النَّفْسِ الهِمَّةَ في البحث والتَّقصِّي في مسائله، نتيجة التَّنافس الَّذي تحثُّه هذه المسابقات، ويجوز ـ أيضًا ـ على أرجح قولي العلماء بذل العوض المالي فيها، وهو مذهب الحنفيَّة وَوَجْهٌ عن الحنابلة واختاره ابن تيمية وابن القيِّم[٩]؛ لأنَّ المستثنيات في قوله ﷺ: «**لاَ سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ أَوْ فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ**»[١٠] إنَّما ذكر بذل العوض منها على سبيل التَّمثيل لما فيها من معنى إعداد العدَّة المادية في الجهاد، وهذا المعنى موجود فيما هو أولى منه وهو إعداد العدَّة الإيمانية؛ ذلك لأنَّ الدِّين قوامه بالحجَّة والجهاد، فإذا جازت المراهنة والمسابقة على آلات الجهاد فهي في العلم أولى بالجواز.

أمَّا عقد المسابقات القرآنية والعلميَّة في ليلة السَّابع والعشرين من رمضان فلا يُشرع هذا التَّخصيص لمخالفته لهدي النَّبيِّ ﷺ، علمًا بأنَّ الاحتفال بليلة القدر من محدثات الأمور، وكلّ محدثة بدعة، وإنَّما المشروع إحياؤها بقراءة القرآن والصَّلاة والدُّعاء وغير ذلك من أنواع العبادات المشروعة فيها، فالإكثار من العبادات فيها كسائر العشر الأواخر؛ لأنَّه كان ﷺ يوقظ أهلَه ويشُدُّ مِئْزَرَهُ ويُحْيِي ليلَهُ[١١]، وأكَّد ذلك بقوله ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[١٢]، وقال ﷺ أيضًا: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[١٣]، وقد علَّمَ النَّبيُّ ﷺ ـ عائشةَ رضي الله عنها أن تدعوَ ـ إن وافقت ليلةَ القدر ـ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[١٤]، وخيرُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، وسَلَّم تسليمًا.



السؤال:

*** فتاة مريضة لم تصم رمضانين متتاليين، ولم تستطع أن تقضي بسبب مرضها، وتوفيت وهي مريضة، فما على أوليائها فعله؟**

الجواب:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه

وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فمن مات وعليه صيام فرض رمضان أطعم عنه وليُّه مكان كلِّ يوم نصف صاع على كلِّ مسكين، ولا يجوز أن يُصام عنه؛ لأنَّ فرض الصِّيام يجري مجرى الصَّلاة، فكما لا يصلِّي أحد عن أحد فكذلك الصِّيام، ما لم يكن عليه ـ أيضا ـ صيام نذر، فإن كان عليه صيام نذر قضى وليُّه عنه؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»[15]، والحديث وإن كان مطلقًا فهو محمول على صوم النَّذر؛ لأنَّ النَّذر التزام في الذمَّة بمنزلة الدَّين فيقبل قضاء الولي له كما يقضي دينه، وهذا مذهب عائشة وابن عبَّاس رضي الله عنهم، وهو مرويٌّ عن سعيد بن جبير وأحمد بن حنبل ـ رحمهما الله ـ، وبه قال ابن قيِّم الجوزية[16]، ويؤيِّد ذلك الحديثان التَّاليان:

حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إنَّ أمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا فَقَالَ: «**لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا**»، قَالَ نَعَمْ، قَالَ: «**فَدَيْنُ الله أَحَقُّ أَنْ يُقْضى**»[17].

وعنه أيضًا: أنَّ سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ أمِّي ماتت وعليها نذر فقال: «**اِقْضِهِ عَنْهَا**»[18].

فصحَّ الصَّوم عن الميِّت في النَّذر بمثل هذه الأحاديث ويبقى عموم الصَّوم مشمولًا بقول ابن عمر رضي الله عنهما: «**لَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ**»[19].

والعلم عند الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه والتَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٢٤)، والتِّرمذي (٦٩٧)، وابن ماجه (١٦٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسَّنه الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٣).

(٢) أخرجه البيهقي (٨٣٠١)، وجوَّد الألباني سنده في «السِّلسلة الصَّحيحة» (١/ ١/ ٤٤٤).

(٣) متَّفق عليه: أخرجه البخاري (١٨١٤)، ومسلم (١٠٨٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٠٦).

(٥) رواه أبو داود في «مسائله» (ص٦٢).

قلت: الأفضل في سائر الأيَّام تأخير القيام إلى آخر اللَّيل ما عدا قيام رمضان فالأفضل في أوَّله، لفعله ﷺ، ولأنَّ النَّاس كانوا يقومونه في أوَّله، ووافقه قول عمر رضي الله عنه، وهي سنَّة المسلمين إلى أيَّامنا هذه.

(٦) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (١٧٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٦٩٦)، ومسلم (١٧٨٣).

(٨) أخرجه التِّرمذي (٢٤١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصحَّحه الألباني في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٣١١).

(٩) «حاشية ابن عابدين» (٦/ ٤٠٣)، «الاختيارات الفقهيَّة» (١٦٠)، «الفروسيَّة» لابن القيِّم (٦٥).

(١٠) أخرجه أبو داود (٢٥٧٤)، والتِّرمذي (١٧٠٠)، والنَّسائي (٣٥٨٥)، وابن ماجه (٢٨٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث صححه الألباني في «الإرواء» (١٥٠٦).

(١١) أخرجه البخاري (١٩٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١٢) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (١٧٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٣) أخرجه البخاري (١٨٠٢)، ومسلم (١٧٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤) أخرجه التِّرمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٥٨٣٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها، والحديث صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٢٣).

(١٥) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (٢٧٤٨).

(١٦) في «إعلام الموقِّعين» (٤/ ٣٨٢)، وفي «تهذيب السُّنن» (٧/ ٣٨).

(١٧) أخرجه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (٢٧٥٠).

(١٨) أخرجه البخاري (٢٧٦١)، ومسلم (٤٣٢٣).

(١٩) أخرجه مالك في «الموطأ» (٦٧٦)، والبيهقي (٨٤٧٥)، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (١٩٧٧).

المنتقى من كتاب أدب المُحَدِّث والمُحَدَّث

لعبد الغني الأزدي المصري (ت ٤٠٩هـ)

قدم له وعلق عليه: عمار تمالت

الحمد لله وحده، والصَّلاة على من لا نبيَّ بعده وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

أمَّا بعد، فإنَّ طالب العلم أحقُّ النَّاس بالتَّحلِّي بالأدب، ذلك أنَّه ثمرةُ العلم وزينتُه، وبدونه يصير العلمُ وبالًا على صاحبه والعياذُ بالله، وقد أولى السَّلفُ الصَّالح هذا الجانب اهتمامًا بالغًا كما يدلُّ عليه ما روي في سيرهم من حكاياتٍ ومواقف قد نستغربها اليوم لشدَّة بعدنا عن التَّأسِّي بهم في أفعالهم وآدابهم قبل الاستفادة من علومهم ومعارفهم.

ومن شدَّة اهتمام العلماء بالأدب في طلب العلم أنَّهم خصُّوا هذا الجانب بالتَّأليف، فجمعوا مصنَّفات في آداب طالب العلم عمومًا، وفي آداب طالب الحديث خصوصًا، فقد خصَّ المصنِّفون في علوم الحديث أبوابًا في آداب طالب الحديث والسَّامع من الشَّيخ، ومن ذلك كتاب «**بيان جامع العلم وفضله**» لابن عبد البرِّ (ت٤٦٣هـ)، وكتاب «**الجامع لأخلاق الرَّاوي وآداب السَّامع**» للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).

وممَّن صنَّف في آداب طالب الحديث: مؤلِّفُنا الحافظ عبد الغني الأزدي المصري (ت٤٠٩هـ) كتاب «**أدب المُحَدِّث والمُحَدَّث**»، وهذا الكتاب ـ للأسف الشَّديد ـ لم يصلْنا كاملًا بل هو مفقود ضمن ما فُقد من التُّراث الإسلامي، إلَّا أنَّه وصلنا منتقًى منه فيه بعضُ الأحاديث والآثار الَّتي قد تدلُّ على أهمِّيَّة هذا الكتاب، ونسأل الله أن يكشفَ عنه كما كشف عن بعض ما كان مفقودًا من تراثنا



الجليل، وقبل التَّعريف بهذا المنتقى الذي سننشرُه في هذه المجلَّة الغرَّاء، نُعرِّفُ بمؤلِّف الأصل تعريفًا موجزًا، فنقول وبالله التَّوفيق:

الحافظ عبد الغني الأزدي المصري(١)

هو: أبو محمَّد عبد الغني بن سعيد بن علي ابن سعيد بن بِشْر بن مروان الأَزْدي المصري، الحافظ الحجَّة النَّسَّابة، محدِّث الدِّيار المصرية.

ولد سنة (٣٣٢هـ)، وكان أبوه فَرَضِيَّ مصر في عصره، وسمع عبدُ الغنيِّ الحديثَ من جماعة كثيرة من الحفَّاظ منهم: عثمان بن محمَّد السَّمَرْقَنْدي، وأبو الطَّيِّب القاسم بن عبد الله الرُّوذْباري، ومحمَّد ابن علي النَّقَّاش، وحدَّث عنه جماعةٌ من الحُفَّاظ منهم: محمَّد بن عليٍّ الصُّوري، وأبو علي الأهوازي، وبالإجازة: الحافظ ابن عبد البرِّ.

وكان عبدُ الغنيِّ من كبار الحفَّاظ بشهادة غير واحد من العلماء، منهم الحافظ أبو عمر الدَّارَقُطْني لَمَّا سأله البَرْقاني بعد رجوعه من مصر: هل رأيتَ في طريقك من يفهمُ شيئًا من العلم؟ فأجابه الدَّارَقُطْني: «ما رأيتُ في طول طريقي إلَّا شابًّا بمصر يُقال له عبد الغنيِّ كأنَّه شُعلةُ نار»، وجعل يُفَخِّمُ أمرَه ويرفعُ ذِكرَه، وقال أبو الوليد الباجي: «عبد الغنيِّ بن سعيد حافظٌ متقِن»، وقال العتيقي: «كان عبد الغنيِّ إمامَ زمانه في علم الحديث وحِفْظه، ثقةً مأمونًا، ما رأيتُ بعد الدَّارَقُطْني مثله».

وكان للحافظ عبد الغنيِّ عدَّة مؤلَّفات تدلُّ على حفظه وعلمه منها: «**المؤتلف والمختلف**»، و«**أوهام المدخل للحاكم**».

وتوفي ـ رحمه الله ـ بمصر سنة (٤٠٩هـ)، قال الذَّهبي: «وقد كان لعبد الغنيِّ جنازةٌ عظيمة تحدَّث بها النَّاس، ونودي أمامها: هذا نافي الكذب عن رسول الله ﷺ».

«المنتقى من كتاب أدب المُحَدِّث والمُحَدَّث»

هذا المنتقى تحتفظُ المكتبةُ الوطنيَّة بباريس بنسخته الخطِّيَّة برقم (arabe ٢٣٢٢) ضمنَ مجموعة من المنتقيات والرَّسائل، ويبدأ هذا المنتقى في اللَّوحة (١٦٨ب) وينتهي في اللَّوحة (١٧١ب)، وهو من منسوخات القرن العاشر الهجري تقديرًا، وهذا نصُّه:

صورة لورقتين من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الحافظ أبو محمَّد عبد الغنيِّ بن سعيد المصري في كتاب «**أدب المحدِّث والمحدَّث**»:

١ ـ حدَّثنا أحمد بن جعفر النَّخَّاس، حدَّثنا أحمد بن شُعَيْب[٢]، أخبرنا عيسى بن هلال، ثنا محمَّد بن حِمْيَر، حدَّثنا معاوية بن سلَّام، عن عكرمة ابن عمَّار، عن شدَّاد، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: أرأيتَ رجلًا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ، ما له؟ فقال رسولُ الله ﷺ:

«**لَا شَيْءَ لَهُ**».

فأعادها ثلاث مرَّات يقول له رسول الله ﷺ:

«**لَا شَيْءَ لَهُ**»، ثمَّ قال:

«**إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»[٣].

٢ ـ وقال: حدَّثنا أبو طاهر بن السَّرْح، ثنا خالد بن عبد الرحمن، عن الثَّوْري، عن أبي حيَّان [عن إبراهيم][٤] التَّيْمي قال: «ما عرضتُ قولي على عملي إلَّا خشيتُ أن أكون مكذَّبًا»[٥].

٣ ـ وقال: حدَّثنا علي بن أحمد بن بَزِيع، ثنا حامد بن محمَّد بن شُعَيْب، ثنا جُعْدُبَة بن يحيى، ثنا العلاء بن بِشْر، عن سفيان بن عيينة، عن أيُّوب



السَّخْتِياني، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس قال: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾، قال: «هل من طالب علمٍ فيُعان عليه»[٦].

٤ ـ حدَّثنا يعقوب بن المبارك، أنَّ الحسين حدَّثهم، ثنا ابنُ أبي السريّ، ثنا ضُمْرَة، عن عبد الله ابن شَوْذَب، عن مَطَر الورَّاق: في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾، قال: «فهل من طالب علمٍ فيُعان عليه»[٧].

٥ ـ وقال: حدَّثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الحَنِيفي، أنَّ في كتابه عن أحمد بن محمد بن يزيد الزَّعْفَراني، عن أبي حاتم الرَّازي، ثنا الحسنُ ابنُ عُبَيْد بن الأسود بن سُوَيْد بن زياد بن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: حدَّثني أبي، عن جدِّي، عن أبيه، عن جدِّه سفينة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي أيُّوب الأنصاري:

«لَا تُعَيِّرْهُ بِالفَارِسِيَّةِ، فَلَوْ أَنَّ الدِّينَ مُعَلَّقٌ بِالثُّرَيَّا لَنَالَتْهُ أَبْنَاءُ فَارِسٍ»[٨].

٦ ـ حدَّثنا أبو أحمد الزَّيَّات، أنَّ جعفر بن أحمد ابن سَلْم العَبْدي حدَّثهم، ثنا نصر بن عليٍّ، ثنا خالد ابن يزيد صاحب «اللُّؤلؤ»، عن أبي جعفر الرَّازي، عن الرَّبيع بن أنس، عن أنس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»[٩].

٧ ـ حدَّثنا الحِنَّائي، ثنا البغوي، ثنا يوسف ابن موسى ومحمَّد بن إسماعيل الأَحْمَسي وغيرهما، قالَا: ثنا أحمد بن يونس، ثنا عَنْبَسَة بن عبد الرَّحمن القُرشيِّ، عن عَلَّاق بن أبي مسلم، عن أبان ابن عثمان، عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَشْفَعُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ العُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»[١٠].

٨ ـ حدَّثنا بَكْر بن عبد الرَّحمن، ثنا يحيى ابن عثمان، ثنا حسَّان بن عبد الله، ثنا ابن لهيعة، عن زَبَّان ابن فائِد، عن سهل بن معاذ[١١]، عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال:

«لَا تَزَالُ الأُمَّةُ عَلَى شَرِيعَةٍ مَا لَمْ يُقْبَضِ العِلْمُ مِنْهُمْ، وَيَكْثُرُ فِيهِمْ وَلَدُ الحِنْثِ[١٢]، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ الصَّقَّارُونَ».

قالوا: وما الصَّقَّارون يا رسول الله؟! قال:

«نَشْؤٌ يكون في آخر الزَّمان، تحيَّتُهم بينهم التَّلاعن»[١٣].

٩ ـ حدَّثنا أبو بكر الأسدي أحمد بن إبراهيم ابن عطيَّة الحدَّاد، أنَّ أبا عقيل أنس بن سَلْم حدَّثهم،

ثنا عُبَيْد بن رُزَيق أبو عُبَيْدَة الأَلْهاني قال: سمعتُ إسماعيل بن عيَّاش يقول: حدَّثني محمَّد بن زياد، عن أبي أُمامة الباهِلي قال: قال النبيّ ﷺ:

«مَنْ عَلَّمَ - يعني: رجلًا - آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَهُوَ مَوْلَاهُ، لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْذُلَهُ وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ هُوَ فَقَدْ فَصَمَ عُرْوَةً مِنْ عُرَى الإِسْلَامِ»[١٤].

١٠ ـ حدَّثنا يعقوب بن المبارك، أنَّ أبا عُلاثة حدَّثهم، ثنا أبي، ثنا ابنُ لهيعة، عن عِمارة بن غَزِيَّة، عن عبد الوهَّاب، عن عبد الوهَّاب بن بُخْت، عن عطاء بن يزيد اللَّيْثي، أنَّه سمع أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ - قالها ثلاثَ مرَّات -، لله، وَلِكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»[١٥].

١١ ـ حدَّثنا محمَّد بن أحمد بن إسماعيل المُعَيْطِيّ، ثنا الحسن بن عليّ بن عمر الحربي الفقيه، ثنا إسحاق بن شاهين، ثنا خالد بن عبدالله، عن الجُرَيْري، عن أبي العلاء، عن مُطَرِّف قال: قال لي عمران بن حُصَيْن: «إنِّي لأحدِّثُك بالحديث لعلَّ الله ينفعُك به بعد اليوم، واعلمْ أنَّ أفضل عباد الله الحامدون، واعلمْ أنَّه لا يزالُ ناسٌ من أهل الشَّام يُقاتلون على الحقِّ ظاهرين على من ناوأهم، حتَّى يُقاتلوا الدَّجَّالَ»، قال: «واعلمْ أنَّ رسول الله ﷺ أَعْمرَ طائفةً من أهله في العشر عشر ذي الحجَّة فلم ينه عنه»[١٦].

١٢ ـ حدَّثنا عبد الله بن جعفر بن محمَّد ابن الورْد، ثنا داود بن محمَّد، ثنا محمَّد بن المِنْهال أخو حجَّاج، ثنا عبد الوَاحد بن زياد، ثنا اللَّيث، عن عبد الرَّحمن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخُشَني قال: قام معاذُ بنُ جبل وأبو عُبَيْدَة يتناجيان، قال: فقلتُ لهما: ما بهذا أمركما رسولُ الله ﷺ؛ ولكن أمركما أن تُعلِّمانا، فقالَا: ما تناجيْنا دونكم؛ ولكن حديثٌ سمعناه من رسول الله ﷺ تذاكرْناه بيننا، يُذكِّرُني وأُذكِّرُه، سمعنا رسول الله ﷺ يقول:

«إِنَّ هَذَا الأَمْرَ بَدَأَ رَحْمَةً وَنُبُوَّةً، ثُمَّ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَانَ مُلْكًا عضوضًا، ثُمَّ عُتُوًّا وجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الأَرْضِ، يَسْتَحِلُّونَ الفُرُوجَ وَالحَرِيرَ وَالخُمُورَ، وَيُمْطَرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَيُرْزَقُونَ حَتَّى يَلْقَوا اللهَ»[١٧].

١٣ ـ حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد الرُّعَيْني، ثنا محمَّد بن محمَّد الباهلي، ثنا أبو همَّام، ثنا مَسْلَمَة، عن الأَوْزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن نافع، عن عبد



الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال:

«إِذَا كَانَ الرَّجُلَانِ فِي مَجْلِسٍ يَتَحَدَّثَانِ عَنِ الفِقْهِ فَلَا يَجْلِسْ إِلَيْهِمَا الثَّالِثُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُمَا»[١٨].

١٤ ـ ثنا أبو يوسف يعقوب بن المبارك، أنَّ أحمد بن عمرو بن عبد الخالق[١٩] حدَّثهم قال: ثنا عمرو بن علي، ثنا أبو عاصم العَبَّاداني، ثنا عليّ ابن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كنَّا في حلقة في المسجد نتذاكر فضائل الأنبياء أيُّهم أفضل، فذكرنا نوحًا وطولَ عبادته، وذكرنا إبراهيم خليل الله، وذكرنا موسى مكلِّم الله، وذكرنا عيسى بن مريم، ثمَّ ذكرناك يا رسول الله، قال:

«فَمَنْ فَضَّلْتُمْ؟».

قلنا: فضَّلناك يا رسول الله؛ لأنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر وبعثك إلى النَّاس كافَّةً وأنت خاتم النَّبيِّين، فقال رسول الله ﷺ:

«إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا».

قلنا: يا رسول الله! من أين ذاك؟ قال:

«أَمَا سَمِعْتُم اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ كَيْفَ وَصَفَهُ فِي القُرْآنِ فَقَالَ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾، ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾، لَمْ يَعْمَلْ سَيِّئَةً قَطُّ وَلَمْ يَهُمَّ بِهَا»[٢٠].

١٥ ـ حدَّثنا علي بن أحمد بن الأزرق، ثنا محمَّد ابن محمَّد الباهلي قال: سمعتُ رِزْق الله بن موسى يقول: سمعتُ وكيعًا يقول: «لا يحلُّ تدليس الثَّوب، فكيف يحلُّ تدليس الحديث».

١٦ ـ حدثني محمَّد بن سليمان بن أبي الشَّريف، ثنا علي بن خلف القَوارِيري، ثنا محمَّد بن عُبَيْد ابن حِساب، ثنا حمَّاد بن زيد، ثنا مجالِد، عن الشَّعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، أَمَا إِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا البَاطِلَ أَوْ تُكَذِّبُوا الحَقَّ، وَاللهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»[٢١].

قال الشَّيخ أبو محمَّد[٢٢]: «هذا الحديث شديدٌ على من يروي عن أهل الكتاب، وقد وهِم بعضُ المصنِّفين المتقدِّمين بروايته عنهم، فلذلك أخرجته في كتابي».

١٧ ـ حدَّثنا علي بن أحمد بن بَزِيع، ثنا محمد ابن

صالح بن ذُرَيْح، ثنا محمَّد بن عبد المجيد، ثنا سفيان ابن عيينة قال: لَمَّا مات مِسْعرُ بنُ كِدام رأيتُ كأنَّ المصابيح والسُّرُج قد طَفِئتْ، قال سفيان: «هو موتُ العلماء».

١٨ ـ حدَّثنا أحمد بن إسماعيل أبو جعفر الخراساني، ثنا الحسين بن حُمَيْد، ثنا هارون ابن سعيد، ثنا سفيان، عن مُجالِد بن سعيد، عن الشَّعبي، عن مَسْروق، عن عبد الله بن مسعود أنَّه قال: «ليس عامٌ إلَّا الَّذي بعده شرٌّ منه، ولا أقول: عامٌ أمْطَرُ من عام، ولا عامٌ أَخْصَبُ من عام، ولا أميرٌ خيرٌ من أمير، ولكن ذهابُ خياركم وعلمائكم، ثمَّ يحدُثُ قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم، فينهدمُ الإسلامُ ويَنْثَلِمُ»[٢٣].

١٩ ـ سمعتُ أبا سليمان العبْدي يقول: نا أبو القاسم عبد الله بن محمَّد البغوي، يقول: سمعتُ إبراهيم بنَ هانئ يقولُ: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ: «إنْ لم يكنْ أصحابُ الحديث هم الأبدال، فلا أدري من هم».

قلتُ[٢٤]: أرى أحمد بنَ حنبل أراد بالأبدال ههنا أنَّه كلَّما مات منهم عالمٌ قام مقامَه آخر، وهذا معنًى صحيح.

٢٠ ـ حدَّثنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، ثنا هارون بن كامل، ثنا سعيد بن أبي مريم، أنا خَلَّاد ابن سليمان أبو سليمان الحَضْرَمي، حدَّثني خالد ابن أبي عِمْران، عن عُرْوَة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسولُ الله ﷺ مجلسًا ولا تلا قرآنًا ولا صلَّى صلاةً إلَّا ختم ذلك بكلمات، قال: فقلتُ: يا رسول الله! أراك ما تجلسُ مجلسًا ولا تتلو قرآنًا ولا تصلِّي صلاةً إلَّا ختمتَ بهؤلاء الكلمات، قال:

«**نَعَمْ، فَإِنَّ مَنْ قَالَ خَيْرًا كُنَّ لَهُ طَابَعًا عَلَى ذَلِكَ الخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[٢٥].

آخر المنتقى، والحمد لله وحده، وصلواتُه على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلامُه.

---

(١) لخَّصتُ ترجمتَه من «سير أعلام النُّبلاء» (١٧/ ٢٦٨ ـ ٢٧٣).

(٢) هو: الإمام النَّسائي.

(٣) أخرجه النَّسائي (٣١٤٢)، وهو صحيح.

(٤) الكلمة سقطت سهوًا من النُّسخة.

(٥) الأثر صحيح عن إبراهيم التَّيمي، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٩٧٠) وغيره.

(٦) إسناده ضعيف، العلاء بن بشر ضعَّفه أبو الفتح الأزدي كما في «الميزان».



(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ١٣١ ـ ١٣٢).

(٨) الحديث أشار إليه ابنُ حجر في «الإصابة» (٣/ ٢٩٢) فقال: «رويناه من طريق عبد الغني بن سعيد المصري بإسناده»، وعزاه المتَّقي الهندي في «كنز العمَّال» (٣٤١٣٣) إلى الشِّيرازي في «الألقاب»، ولم أقف على ترجمةٍ لبعض رجال إسناده؛ لكن شطره الثَّاني في «صحيح مسلم» (٢٥٤٦) وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو في البخاري (٤٨٩٧) ومسلم (٢٥٤٦) بلفظ الإيمان.

(٩) أخرجه التِّرمذي (٢٦٤٧)، وأورده الألباني في «الضعيفة» (٢٠٣٧) وضعَّفه.

(١٠) الحديث أورده الشَّيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩٧٨) وحكم عليه بالوضع.

(١١) في الأصل: سهل بن سعد، وهو خطأ، وهو: سهل ابن معاذ بن أنس الجهني.

(١٢) أي: ولد الزِّنا.

(١٣) أخرجه الإمام أحمد (١٥٦٢٨) وغيره، وإسناده ضعيف لضعف زبان بن فائد وحال ابن لهيعة.

(١٤) الحديث ضعيف، أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١١٦)، وابن القيسراني في «ذخيرة الحفَّاظ» (٤/ ٢٣٣٩).

(١٥) إسناده منكر، والمعروف: عطاء بن زيد اللَّيثي عن تميم الداري.

(١٦) الحديث إسناده صحيح، وشطره الأخير في «صحيح مسلم» (١٢٢٦).

(١٧) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١١٣٠) وغيره، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وقال الشَّيخ الألباني في «تخريج السُّنة»: لكن الحديث صحيح؛ لأنَّ له شواهد يتقوَّى بها، ثمَّ أورد بعضها.

(١٨) الحديث ضعيف، أورده ابن القيسراني في «ذخيرة الحفَّاظ» (١/ ٣٥١)، وقال: «ومسلمة ـ وهو: الخشني ـ ليس بشيء في الحديث».

(١٩) هو: البزَّار، والحديث في «مسنده» كما في «كشف الأستار» (٢٣٥٨).

(٢٠) إسناده ضعيف لِضعف علي بن زيد، وهو: ابن جدعان؛ لكن بعضه له أصل في «الصَّحيحين».

(٢١) أخرجه أحمد (١٤٦٣١) وغيره، وإسناده ضعيف لِضعف مجالد بن سعيد.

(٢٢) هو: عبد الغني الأزدي مؤلِّف الأصل.

(٢٣) في إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف، لكن الأثر تلقَّاه غير واحد من المصنِّفين بالقبول.

(٢٤) القائل هو الحافظ الأزدي.

(٢٥) الحديث صحيح، له طرق عدَّة أوردها الشَّيخ الألباني في «الصحيحة» (٣١٦٤) وصحَّحه.

المقامة الرمضانية

محمد بوسلامة

حدَّث محمَّد بن عليّ قال:

دخلت سوق الحيِّ، فألفيت به عبد الحيِّ، وهو بين الميِّت والحيِّ، وهو في ذلك الممشى، يخبط خبط الأعْشَى، وقد زعفر وجهَه الصِّيامُ، وجفَّف ريقَه الأوامُ، فقلت: لأقفونَّ أثرَه، ولأخبرنَّ خبره، وقد واريتُ عنه عِيَاني، فكنتُ أرَاه من حيث لا يراني، فانطلق حتَّى انغمس في أمواج الأخلاط، وهم في زحام وزِيَاط، فماجت به تلك الأمواج، وأمدَّهم بعد ذلك أفواج، فاشتدَّ في ذلك العراك بأسه، ولم يَبْدُ لي من جسده إلَّا رأسُه، فكلَّفني في اللّحاق به المشقَّة، فاختلت للعَرَمْرَم كي أَشُقَّه، فانسلَّ عبد الحيِّ بعد عناء إلى الجزَّار، وكأنَّه مكبَّل الرِّجلين، فليس الأمر لو ترى بِهَيْن، وهو في ذلك شاتم ومشتوم، وطورًا يُلام وطورًا يَلوم، فلمَّا بلغ إلى اللَّحَّام، وعاين تلك اللِّحام، جعل ينظر إليها نظر ذات وِحام، فابتاع منه رطلًا أو رطلين، ثمَّ تولَّى قرير العين، وغطس إلى ناحية الخضر، متقلِّبًا بين ضِرار وضَرَر، فلمَّا وقف عليها لفحته لوافح الأسعار، فضجَّ من ذلك السُّعار، ولجَّ في خصام الخَضَّار، ثمَّ صال وجال، واشترى ما يعجز عن حمله رِجال، ثمَّ غيَّبته عني لُـمَّة، أحاط به جمعُها فواراه، وصار بمكان حيث لا أراه، فإذا هو عند بائع الزَّيتون، وقَلْبُه بكلِّ نوع مفتون، وطال حديثه إلى البائع، والكلام عن البضائع، حتَّى أنساه السَّوْمُ حرمةَ الصَّوم، فألقى زيتونة في فمه، وسها عن صومه، فصاح به القوم: يا رجل أفسدتَ الصَّومَ!

فلفظ منها ما تبقَّى، واستغفر الله وذكره، وسبَّ مِنَ القوم مَنْ ذكرَّه، فرأيته وقد تجهَّم وجهه، وشعث رأسه، وتصبَّب عرقه، وقد نهكته تلك الأثقال، وأَنْصبَه التّطواف بين جزَّار وبقَّال، وهو ينظر إلى ساعته في تلك الكروب، يحسب كم بقي للغروب، ولسان حاله يقول:

يا شمس قد طال النَّهار فاغربي
فبالغروب ينجلي ما حلَّ بي

إنِّي إذا ما أخذتني الدُّوخة
أستذكر البُرَاكَ والشَّخْشُوخَة

وشُرْبةً تصنع من حبِّ الفريك
وزلبيَّةً تجي من بُوفَرِيك

وعنبًا وطبقًا من موز
وقهوة معها قلب اللّوز

تهيج لي في نهمة أشواقي
وأغتدي من ذاك للأسواق

خلُّوا سبيلي معشر الجموع
يكفي الَّذي أصابني من جوع

قد كسرت من بينكم ضلوعي
لو كنت أدري جئت في دروع

ثمَّ أقبل نحوي بكلِّ ما يحوي، فبادرت إليه، ثمَّ سلَّمت عليه، فشكا إليَّ الحال، وما لقي في تلك الأوحال، ثمَّ قال لي: كيف حالك ورمضان؟ فقلت: شهر يستوجب الشُّكران، ولكن سلْ رمضان كيف حاله معي، إن كنت ممَّن يعي، فإنَّنا في زمن فسدت فيه الموازين، وصار ما يشين عند النَّاس يزين، ثمَّ حدَّثته بحديث لبَّد العجاج، وأنساه خبر اللَّحم والدَّجاج، حتَّى إذا استأنس بكلامي، قلت له: ما فعلت الزَّيتونة؟ فقال: سحقًا إنَّها ملعونة! ثمَّ سألني عن حكم ذلك؛ فقلت: القضاء على قول مالك؛ فقال: وهل في قول غيره ما يدفع؟ فقلت: يدفعه أن تتشفَّع، وما أراه ينفع، فاقض يومًا تبرأ به الذِّمَّة، وتحمد في مذاهب كلِّ الأئمَّة، ثمَّ طاف عليه من أحواله طائف، فأخبرني أنَّه نسي البقلاوة والقطايف، وقال: ذلك من أحكام السَّمَر، ولذَّة السَّهر، فانصرفَ وانصرفتُ، وقد هاجت عليَّ رياحُ الرَّجز، فانطلق اللِّسان وما

عجز، فأنشأت أقول:

واعـجبًـا من صوم عبـد الـحيِّ
إذ قــد غـدا فـي سَـفَـهٍ وغــيٍّ

فإنْ شـهـر رمـضـــان طـــاعه
ولـــم يـكـن شـرع للـمـجــاعه

بـل هـو مـن ربِّ الورى تهذيب
لـيـس لـنـهـش لـحم يا ذيــب

فــإن ذا مــقـــصـــد شــرع الله
فـي كـلِّ مـا شـرعـه يـا لاهــي

مـن ضـلَّ عـن مقاصد الشَّريعه
حـرم مـن مـنـافـع بـديـــعــه

فـصم وصن في صومك اللِّسانا
وابذل لكـلِّ مـن ترى الإحسانا

واصـغ إلى خيـر الورى الأوَّاب
فـيـمن يصوم الشَّهر باحتسـاب

من صـــام لله بــه مـحـتـسـبًـــا
يـغفر لــه الإلـــه مـــا قـد أذنبـا

ومـثـلـه لـكـلِّ مـــن قـد قـــامَا
فـي لـيلـه فلْتَـطْـلُـبِ الـمـقامَا

فـإنَّ أكـثـر الـورى قـد غـفـــلا
حـتَّـى إذا مـا رمضـــان أفـــلا

لـم يـغـنـمـوا مـا غـنـم السّباق
مـن نـالـهــم مـن ربِّـنـا إعـتاق

قال الرَّاوي لهذا الخبر:

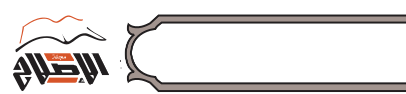
فرجعت أَجْتَلِي من ذلك العِبَر، وأجيلُ فيه الفِكَر، فجاءتني بفضائل الاستقامة، وقد أودعتها هذه المقامة.

أتى رمضانُ

عبد الهادي لعقاب

أَتَى رَمَضَانُ فَاهْنَأْ بِالْحَيَاةِ ... وَأَقْبِلْ بِالهَدَايَا وَالصِّلاَتِ
وَأَرْدِفْ بِالتَّحَايَا مُفْعَمَاتٍ ... بِشِعْرٍ مِن قَوَافٍ سَائِرَاتِ
وَصُغْ مِنْهَا تَحِيَّةَ مُسْتَهَامٍ ... صَلاَهُ الشَّوْقُ نَارَ النَّائِبَاتِ
أَتَى رَمَضَانُ حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ ... وَبَادِرْ بِالصِّيَامِ وَبِالصَّلاَةِ
أَتَى شَهْرُ الصِّيَامِ بِكُلِّ خَيْرٍ ... هَلُمُّوا شَمِّرُوا لِلصَّالِحَاتِ
أَتَاكُمْ زَائِرٌ غِبٌّ كَرِيمٌ ... عَظِيمٌ طَيِّبٌ جَمُّ الصِّفَاتِ
تُفَتَّحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجِنَانِ ... وَيَأْتِي الخَيْرُ مِن كُلِّ الجِهَاتِ
وَتُوصَدُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّعِيرِ ... وَتَقْصُرُ فِيهِ أَعْمَالُ الْبُغَاةِ
وَيَأْمُرُ رَبُّنَا مَلَكًا كَرِيمًا ... فَيُعْلِي صَوْتَهُ فِي الْكَائِنَاتِ
أَلَا بَاغِي الشُّرُورِ اكْفُفْ وَأَقْصِرْ ... وَبَاغِي الْخَيْرِ أَقْبِلْ بِالْأَنَاةِ
بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ وَاحْتِسَابٍ ... وَشُكْرٍ لِلْكَرِيمِ عَلَى الْهِبَاتِ
وَعَزْمٍ صَادِقٍ وَنُصُوحِ تَوْبٍ ... وَتَرْكٍ لِلذُّنُوبِ المَاضِيَاتِ

نُبَـــادِرُ بِـــالْقِرَى وَنَـــسُوقُ هَـــدْيًا ... كَـــرِيمًا مِـــن فِعَـــالٍ مُنجِيَـــاتِ
وَنَـــسْتَجْدِي الـــرَّحِيمَ عَمِـــيمَ خَـــيْرٍ ... لَعَـــلَّ اللهَ يُـــدْرِكُ بِالنَّجَـــاةِ
وَيَـــا صَـــاحِ اسْـــتَلِلْ سَـــيْفَ الْكُـــمَاةِ ... عَـــلَى غَـــشْيِ الْخَنَـــا قَبْـــلَ الْفَـــوَاتِ
فَهَـــذَا شَـــهْرُنَا شَـــهْرُ الْعَطَايَـــا ... وَشَـــهْرٌ قَـــدْ حَـــوَى عُظْـــمَ الْعِظَـــاتِ
وَشَـــهْرٌ أُنـــزِلَ الْقُـــرْآنُ فِيـــهِ ... كَـــسَاهُ اللهُ كُـــبْرَى الْمُعْجِـــزَاتِ
لَنَـــا الْخَـــيْرُ الْعَمِـــيمُ إِذَا امْتَثَلْنَـــا ... فَتَتْلُـــوَ فِيـــهِ آيـــاً بَيِّنَـــاتِ
وَنُحْيِـــيَ بِـــالتَّرَاوِيحِ اللَّيَـــالِي ... لَعَـــلَّ الْقَلْـــبَ يَحْيَـــى مِـــن مَـــوَاتِ
تَرَقَّـــبْ لَيْلَـــةَ الْقَـــدْرِ امْتِثَـــالًا ... لِأَمْـــرِ الْمُـــصْطَفَى زَيْـــنِ الـــدُّعَاةِ
فَخَـــيْرٌ لَيْلُهَـــا مِـــن أَلْـــفِ شَـــهْرٍ ... وَأَمْـــنٌ كُلُّهَـــا حَتَّـــى الْغَـــدَاةِ
فَيَـــا سَـــعْدًا لِعَبْـــدٍ حَـــازَ مِنْهَـــا ... نَـــصِيبًا فَـــانثَنَى بِالْمَكْرُمَـــاتِ
عَـــسَى اللهُ الْكَـــرِيمُ يَمُـــنُّ فَـــضْلًا ... بِعِتْـــقٍ لِلرِّقَـــابِ الْمُـــثْقَلَاتِ
وَفَـــكِّ الْأَسْرِ مِـــن قَيْـــدِ الْعَـــوَادِي ... وَلَمِّ الـــشَّمْلِ مِـــن بَعْـــدِ الـــشَّتَاتِ
وَرَتْـــقِ الْفَتْـــقِ فِي شِـــقٍّ وَشَـــعْبٍ ... وَتَلْيِـــينِ الْقُلُـــوبِ الْقَاسِـــيَاتِ
وَكَـــشْفِ الـــضُّرِّ عَـــن مَـــرْضَى وَثَكْـــلَى ... وَرَفْـــعِ الظُّلْـــمِ مَـــعْ دَفْـــعِ الْأَذَاةِ
وَبَـــسْطِ يَـــدٍ لِمَـــن أَشْـــقَاهُ سُـــؤْلٌ ... فَأَصْـــبَحَ بِالـــسُّؤَالِ مِـــنَ الْعُـــدَاةِ
وَهَـــذَا شَـــهْرُنَا شَـــهْرُ الْمَزَايَـــا ... وَنَـــصْرٍ لِلْحُـــمَاةِ عَـــلَى الْغُـــزَاةِ
فَفِيـــهِ قَـــدْ عَـــلَا التَّوْحِيـــدُ بِـــدْعًا ... مِـــنَ الْأَوْثَـــانِ عُـــزَّى وَالْمَنَـــاةِ
وَفِي التَّـــارِيخِ تُحْفَـــظُ مِنْـــهُ آيٌ ... بَـــدِيعَاتٌ وَأَرْوَعُ ذِكْرَيَـــاتِ
فَمِـــنْ بَـــدْرٍ إِلَى فَـــتْحٍ مُبِـــينٍ ... إِلَى حِطِّـــينَ نَقْمَـــعُ بِالْقَنَـــاةِ



وَفِي عَـــيْنٍ لِجَـــالُوتَ انْتَـــصَرْنَا   عَـــلَى التَّاتَـــارِ نَـــدْفَعُ بِـــالْكُمَاةِ

تُـــرَى هَـــلْ يَرْجِـــعُ المَجْـــدُ الـــسَّلِيبُ   لِأُمَّتِنَـــا فَنَـــنْعَمَ بِالحَيَـــاةِ

وَنُـــدْرِكُ ثَأْرَنَـــا ثَـــأْرًا مُنِـــيماً   فَنَحْيَـــا بِالنُّـــشُورِ مِـــنَ المَـــمَاتِ

بَنِـــي قَـــوْمِي أَصِـــيخُوا الـــسَّمْعَ صِـــدْقًا   فَـــإِنِّي بَـــاذِلٌ نُـــصْحَ الْأُسَـــاةِ

بَنِـــي قَـــوْمِي اشْـــدُدُوا الحَـــزْمَ انتِـــضَاءً   لِـــسَيْفِ الْعَـــزْمِ، هُبُّـــوا مِـــن سُـــبَاتِ

بَنِـــي قَـــوْمِي لَكُـــمْ فِي الْأَمْـــسِ مَجْـــدٌ   تَلِيـــدٌ قَـــدْ عَفَـــا مِثْـــلَ الرُّفَـــاتِ

لَكُـــمْ فِي الـــسُّنَّةِ الْغَـــرَّاءِ هَـــدْيٌ   وَنُـــورٌ فِي اللَّيَـــالِي الـــدَّاجِيَاتِ

وَفِي الْقُـــرْآنِ مِنْـــهُ لَكُـــمْ حَقِيـــقٌ   بِتَنْـــوِيرِ الْعُقُـــولِ المُقْفَـــلَاتِ

وَبُرْهَـــانٌ خَـــلَا مِـــن كُـــلِّ نَقْـــصٍ   تَجَـــلَّى فِي الْوَصَـــايَا المُحْكَـــمَاتِ

مَحَجَّـــةُ رَبِّنَـــا بَيْـــضَاءُ عَنْهَـــا   يَزِيـــغُ الهَـــالِكُونَ بِمُحْـــدَثَاتِ

فَـــسِيرُوا مُهْتَـــدِينَ بِخَـــيْرِ رَسْـــمٍ   وَسِـــيرُوا مُؤْتَـــسِينَ بِخَـــيْرِ ذَاتِ

وَسِـــيرُوا مُـــرْتَجِينَ لِعَفْـــوِ رَبٍّ   دَعَـــاكُمْ لِلْجِنَـــانِ الخَالِـــدَاتِ

الأسرة في رمضان

وسيلة حماموش

كان سلفنا الصَّالح يولون شهر رمضان اهتمامًا خاصًّا، وكانوا يدعون الله أن يبلغهم رمضان، وإذا انقضى يدعونه أن يتقبَّله منهم... ذلك لأنَّهم أدركوا قيمة رمضان ودقائقه النَّفيسة، فحرصوا على نيل فضائله فتهيَّؤوا له أفرادًا وأُسَرًا بالتَّقوى والإيمان لا بالزَّخارف والأشكال، بالصَّلاة والصِّيام لا بالبَهْرَجَة والزِّينة، فاقتداءً بسلفنا الصَّالح وقدوتهم وقدوتنا النَّبيّ ﷺ رأيت من الواجب تذكير أرباب الأُسَرِ بما يجب أن يقوموا به تُجاه أُسَرِهم لتحصيل ما حصله السَّلف والسَّير على طريقهم، فمن فعل ذلك فقد فاز وفلح ومن أهمل فقد خاب وخسر.

*** فضائل رمضان وأهميَّته في حياة الأسرة:**

قال الله تعالى: ﴿**شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

خصَّ الله شهر رمضان عن غيره من الشُّهور بكثير من الخصائص والفضائل منها:

- خلوف فم الصَّائم أطيب عند الله من ريح المِسْك.
- تستغفر الملائكة للصَّائمين حتَّى يفطروا.
- تُصَفَّدُ فيه الشَّياطين.
- تُفتح فيه أبواب الجنَّة، وتغلق أبواب النار.
- فيه ليلة القدر هي خيرٌ من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم الخير كلَّه.
- يُغفر للصَّائمين في آخر ليلة من رمضان.
- لله عتقاء من النَّار، وذلك كلّ ليلة من رمضان.



فهذا شهر هذه خصائصه وفضائله بأيِّ شيء نستقبله؟ أبالانشغال بتنويع المآكل والمشارب وطول السَّهر؟ أم بالتضجُّر من قدومه وتثقل علينا العبادة، نعوذ بالله من ذلك كلِّه.

لكن الأسرة الصَّالحة المستقيمة تستقبله بالتَّوبة النَّصوح، وأفرادها كلّها عزيمة صادقة على اغتنامه، وعمارة أوقاته بالأعمال الصَّالحة.

إنَّ شهر رمضان محطَّة تجديد لتزكية النَّفس وأخذ الزَّاد من العلم والعمل بدوام الطَّاعة والاستقامة والتَّطهُّر ممَّا قد شاب النَّفسَ من الذُّنوب والمعاصي.

*** توجيهات تربوية للأسرة لاستغلال شهر رمضان:**

وهذه بعض التَّوجيهات التَّربويَّة الَّتي تعين الأسرة لتقضي رمضان كما كان يقضيه رسول الله ﷺ ليحرص كلُّ راعٍ في بيته على اتِّباعها لتنشأ أسرته على الخير وصدق الشَّاعر لمَّا قال:

وينشأ ناشئ الفتيان منَّا
على ما كان عوَّده أبوه

١ ـ أن يحرص الوالدان على تذكير أولادهم بحقيقة رمضان قبل مجيئه عن طريق عقد حلقات في البيت في فقه الصِّيام خلال شهر شعبان فضلًا عن حلقات المساجد، عملًا بقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦** ﴾ [التحريم: ٦].

٢ ـ تعويد الأطفال الصِّغار على الصِّيام وتصبيرهم على ذلك وتشجيعهم بهدايا تقدَّم لهم بعد الإفطار، فقد كان السَّلف يعوِّدون أبناءهم على الصِّيام، عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها قالت: «**أرسل النَّبيُّ ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: مَن أصبح مفطرًا فليتمَّ بقيَّة يومه، ومن أصبح صائمًا فليصُم، قالت: فكنَّا نصومه بعدُ ونصوِّم صبياننا [الصِّغار ونذهب بهم إلى المساجد] ونجعل لهم اللُّعبة من العِهن**[1]**، فإذا بكى أحدهم على الطَّعام أعطيناه ذاك حتَّى يكون عند الإفطار**»[2].

قال النَّووي: «وفي هذا الحديث تمرين الصِّبيان على الطَّاعات، وتعويدهم العبادات، ولكنَّهم ليسوا

مكلَّفين، قال القاضي: وقد روي عن عُرْوة أنَّهم متى أطاقوا الصَّوم وجب عليهم، وهذا غَلَطٌ مردود بالحديث الصَّحيح: «**رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ**» ـ وفي رواية: «**يَبْلُغَ**» ـ، والله أعلم»[3].

٣ ـ حثُّ أهلِ البيت على المحافظة على الصَّلوات المفروضة في أوقاتها وأدائها في المساجد للذُّكور وكذا سائر الواجبات الشَّرعيَّة، وحثّهم على صلاة التَّراويح فإنَّها راحة، فقد قال المصطفى ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[4]، كما يشجّع الأطفال عليها من خلال جوائز تقدَّم لهم مثلًا في نهاية رمضان لمن أتمَّ قيام رمضان.

٤ ـ ترغيبهم في الإكثار من تلاوة القرآن ومراجعته، وتنويع الأذكار، ويستحسن تنظيم مسابقات في القرآن بين الأولاد، فقد كان الإمام مالك ـ رحمه الله ـ إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، وأَقْبَلَ على تلاوة القرآن من المصحف، وكان سفيان الثَّوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن، والحرص على النَّوافل، دون أن يفوتهم التَّذكير بآيات القرآن وهو تدبُّره، قال تعالى: ﴿**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩**﴾ [ص: ٢٩].

وقد نعى القرآن على أولئك الَّذين لا يتدبَّرون القرآن ولا يستنبطون معانيه، فقال سبحانه: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢**﴾ [النساء: ٨٢].

٥ ـ تذكيرهم بمفسدات الصَّوم الَّتي قد يغفل عنها الكثير من النَّاس من اللَّغو والرَّفَثِ والغِيبَة والنَّميمة وقول الزُّور وكلِّ المحرمات، فرمضان ليس مجرَّد إمساك عن الطعام والشَّراب، بل كذلك إمساك الجوارح عن المحرَّمات، قال ﷺ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُث وَلَا يَفْسُق وَلَا يَجْهَل، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**»[5].

٦ ـ اغتنام رمضان للدَّعوة إلى الله تعالى من خلال الجلسات العائليَّة وصلة الرَّحم، وأن يلازموا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فالقلوب مهيَّأة لذلك في مثل هذا الشَّهر.



٧ ـ عدم إثقال كاهل الأمِّ بجملة من طلبات المأكولات المتنوِّعة، فهي أيضًا تحتاج إلى التَّزوُّد بالإيمان في هذا الشَّهر، وعلى أفراد الأسرة الرِّضى بالقليل المعين على العبادة الذي هو خير من الكثير الملهي عن الطَّاعة.

وننصح الأمَّ بأن تستغل وقت اشتغالها في المطبخ ـ دون أن تنسى استحضار النيَّة الخالصة في إطعامها وعملها وتعبها لها ولأولادها وزوجها ـ بذكر الله وبالاستماع للمحاضرات والدُّروس النَّافعة عبر جهاز التَّسجيل الخاصِّ بالمطبخ، وهنا أُرَغِّب وأحثُّ الأبَ والأخَ على الحرص على توفير جهاز تسجيل خاصٍّ بالمطبخ، فالمرأة تقضي كثيرًا من وقتها فيه، فلعلَّها أن تستغلَّ هذا الوقت فتستفيد فوائد كثيرة وهذا مجرَّب، وليكون ذلك عهد جديد بعد رمضان.

٨ ـ حثُّ الأهل على الإنفاق في سبيل الله وتفقُّد الجيران والمحتاجين، فعن ابن عبَّاس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود النَّاس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الرِّيح المرسلة»[٦]، ولو أنْ يمنح الوالد أو الوالدة مالا لأولادهما ليقدموه بدورهم صدقةً للفقراء لكانت وسيلة تربويَّة ناجعة للطِّفل، أو أن يجعلوا صندوقًا في البيت يجمعون فيه أموالًا للفقراء من مداخيلهم.

٩ ـ على الوالدين أن يحرصا على تنظيم حلقاتٍ مع أولادهم في تفسير كلام الله أو شرح حديثٍ من أحاديث رسول الله ﷺ خلال رمضان ويجنِّبوهم السَّهر أمام التِّلفاز، أو اللَّهو واللَّعب وغيرها من الملهيات والمغريات وما أكثرها في زماننا، وقد سبق قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦**﴾ [التحريم: ٦].

١٠ ـ يحرص الوالد على شدِّ المئزر وإيقاظ أهله لإحياء العشر الأواخر من رمضان فإنَّ فيها ليلة هي خيرٌ من ألف شهر، كما كان يفعل رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ**

﴿٣﴾ [القدر: ١ ـ ٣]، وقال ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٧]، وكان النَّبيُّ ﷺ يتحرَّى ليلة القدر ويأمر أصحابه بتحرِّيها وكان يوقظ أهله ليالي العشر رجاء أن يدركوا ليلة القدر.

وليحذر المسلم أن يسيطر عليه الفتورُ في هذه اللَّيالي العظيمة فيقضيها الأب في الأسواق لاقتناء حاجيات العيد لأولاده، والأمُّ في المطبخ لإعداد الحلويات فلَّعلهما لا يدركان العيد فـ:

ليس العيد لمن لبس الـجديد

بـل العيد لـمن طاعاته تزيد

١١ ـ صلة الرَّحم وتفقُّد الفقراء منهم وتفطيرهم لما في ذلك من الأجر العظيم وتكليف الصِّبيان بصلتهم بين الفَيْنَة والأخرى لتدريبهم على ذلك.

١٢ ـ ومَنْ فتح اللهُ عليه ووفَّقه لأداء عُمْرَةٍ في رمضان مع أسرته فذاك مِنَّة منه تعالى، فقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدلُ حَجَّةً**»[٨]، فهنيئًا لك ـ أيُّها الصَّائم ـ.

*** آثار رمضان على الأسرة:**

رمضان أعظمُ مدرسةٍ إيمانيَّة في حياة المسلم، فمِنْ خلال التَّوجيهات السَّابقة تكون الأسرة قد حقَّقت خيرًا كبيرًا في حياتها وجنت ثمارًا نافعة، ونذكرها لشحذ الهِمَم ودفعها للعمل لأجل تحقيقها ولِتَعيشَ بها لما بعد رمضان، ومن أعظم هذه الدُّروس:

١ ـ توحيد الله ومراقبتُه في السِّرِّ والعَلَنِ، وتعميق الإيمان باليوم الآخر والجنَّة والنَّار من خلال الصِّيام والقيام وملازمة دعاء الله بالعِتْقِ من النَّار.

٢ ـ حبُّ القرآن وذكرُ الله والمسجدُ للاستدامة عليه خلال وبعد رمضان.

٣ ـ شعورٌ مستمرٌّ بما يعانيه الفقراء والمساكين طِيلة أيَّام السَّنة، وهو ضرب من التَّكافل.

٤ ـ حبُّ النَّوافل والاجتهاد فيها لما تُوَرِّثه من محبَّة الله.

٥ ـ المحبَّة والمودَّة بين أفراد الأسرة من خلال الاجتماعات التَّعليمية وحتَّى على مائدة الإفطار.

٦ ـ حبُّ العلم والاستشعار بضرورته في حياة

المسلم من خلال حلقات الذِّكر في المساجد والتَّعوُّد عليها.

٧ ـ حبُّ الدَّعوة إلى الله والحرص على القيام بها؛ لأنَّها واجبٌ دينيٌّ.

٨ ـ الصَّبرُ على الشَّدائد من خلال الصِّيام والقيام، وتدريب النَّفس على العفو والصَّفح والتَّسامح والتَّعاون والتَّآخي.

٩ ـ التَّخلُّص من الشُّحِّ والبُخل من خلال الصَّدقات.

١٠ ـ تنظيم الأوقات للعبادة والأكل والشُّرب والعلم.

وأخيرًا نداءٌ لجميع الأُسَر:

أَدْرِكوا قيمةَ رمضانَ ودقائقَه الغالية ولحظاتِه الَّتي لا تعوَّض.

فرمضان فرصة لا يمكن أن يفرِّط العاقلُ فيها.. فرصةٌ للتَّخفيف من الآثام والأوزار، فرصة لمغفرة الذُّنوب والسَّيِّئات، فرصة للعِتْق من النَّار، فرصة لمراجعة النَّفس ومجاهدتها في الله.

فلتُسارع الأسرُ ولتَتَسابق إلى الخيرات، فعساها أن تُدرك رمضان هذه السَّنة ولا تدركه السَّنة المقبلة؟!!

---

(١) العِهْنُ هو الصّوف.

(٢) رواه البخاري (١٨٥٩)، ومسلم (١١٣٦)، والزِّيادة بين المعكوفتين له.

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٨ / ١٤).

(٤) متَّفق عليه.

(٥) رواه البخاري (١٨٠٥)، ومسلم (١١٥١).

(٦) رواه البخاريُّ (٤٧١١)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٧) رواه البخاري (١٨٠٢)، ومسلم (٧٦٠).

(٨) رواه البخاري (١٦٩٠)، ومسلم (١٢٥٦).

تنبيه الصائمين على عبارات خاطئة

عمر الحاج مسعود

أنبه في هذا البحث على عبارات يستعملها الكثير من المسلمين في شهر رمضان المبارك ـ وبخاصة في بلدنا الجزائر ـ، وتجري على ألسنتهم، بعضها مخالف للعبارة الشرعية، وفي بعضها سوء أدب، وصار بعضها الآخر ألفاظا مفروضة وعادات لازمة، كما سيتبين إن شاء الله تعالى.

❊ **سِيدْنَا رَمْضَان:**

يريد الناس تعظيم هذا الشهر المبارك والتنويه به فيقولون: جاء سيدنا رمضان، والحق أن رمضان ليس سيدنا، وإنما هو أفضل الشهور.

إن السيد على الإطلاق هو الله عز وجل، فهو الأحق بهذا الاسم، كما قال النبي ﷺ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»[1].

ويجوز إطلاقه على غيره عز وجل مقيدا مضافا، وعلى من هو أهل لذلك ودون قصد التعبد، وسيد كل شيء من جنسه[2].

ويكون حينئذ بمعنى أفضل الشيء وأحسنه وأشرفه.

قال النبي ﷺ للأنصار: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيرِكُمْ**»[3]، وقال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ...**»[4] الحديث.

ورمضان سيد الشهور لفضائله المشهورة وخصائصه المعلومة.

قال ابن القيم ـ وهو يتكلم على تفضيل بعض الأيام والشهور على بعض ـ: «ومن ذلك تفضيل شهر رمضان على سائر الشهور...»[5].

ولابد من التنبيه إلى أنَّ تسميته سيد الشُّهور لم يثبت فيه دليل، وإنما سماه النبي ﷺ شهرًا مباركًا، كما

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ...**»[٦] الحديث.

❊ صَحَّ رَمْضَانك، صَحَّ صِيَامك:

اشتهرت هذه العبارات في شهر رمضان: «صحَّ رمضانك، وصحَّ صيامك، وصحَّ فطورك، وصحَّ سْحُورك حتى صارت شعارا للصائمين، ولعل مقصودهم: بالصحة والعافية.

والذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنها غير مشروعة، وذلك من جهتين:

الأولى: كون الصيام عبادة، والعبادة لا يجوز أن يضاف إليها إلا ما ثبت بالدليل، ولا يثبت هنا شيء خاص يقوله المسلم لأخيه ولو وجد لنقل إلينا مع شدَّة الحاجة إليه وعموم البلوى به ولم يثبت عن أحد من الصحابة ولا السلف مع شدة حرصهم على العلم والعمل، فالعمل به يكون اتباعا لغير سبيلهم واهتداء بغير هديهم.

قال الشاطبي عن الأولين السابقين: «فما كانوا عليه من فعل أو ترك فهو السنة، والأمر المعتبر وهو الهدى»[٧].

فالمسألة تدخل في السُّنَّة التَّركية، ونظيرها قول بعض المصلين لبعض بعد الانتهاء من الصلاة: «الله يْقبل ».

فتلك العبارات أضيفت إلى عبادة، وكل ما أضيف إلى عبادة يفتقر إلى دليل.

الثانية: إيلاف الناس هذه العبارات حتى صارت لازمة، واعتيادهم إياها حتى أصبحت واجبة، من تركها ضيِّق عليه وربما نسب إلى سوء الأدب.

فهذا دليل على أنهم يوجبون أمورا لم يوجبها الله ورسولهﷺ، وهذا أمر خطير لأنه استدراك على الشرع، والله تعالى يقول: ﴿**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ**﴾ [المائدة: ٢].

والعجب كل العجب من أولئك أنهم يحرصون حرصا شديدا على تلك العبارات ويهملون السنن والمستحبات مثل دعاء الإفطار، والدعاء للمفطِّر.

❊ كَسَّر الصِّيام:

يقول أكثر الصائمين عند الإفطار: «نْكَسَّر الصيام» ويقصدون: نُفطر ونوقف الصوم؛ لكن هذه العبارة لا تساعد على هذا المعنى؛ لأن كسر الشيء هشمه وفرق بين أجزائه وكسَّره بالغ في

كسره[٨]، والعبادة يُتَحلَّل منها ولا تُكَسَّر، فالعبارة السليمة: أفطر، قال الرسول ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**»[٩].

وعن أنس: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يُفطر قبل أن يصلي على رُطبات، فإن لم يكن فتمرات، فإن لم يكن تمرات حَسَا حَسَوات من ماء»[١٠].

❊ نقتل الوقت، نعقب الوقت:

يقول المحرومون: «نعقب الوقت» أي نقضيه ونقطعه حتى يصل وقت المغرب، يضيعون أوقاتهم في شهر رمضان ـ وفي غيره ـ في الباطل واللهو ويهدرونها في النوم واللغو، يضيعون الساعات ويقطعون المسافات، وهؤلاء هم المغبونون حقا، قال ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَةُ وَالفَرَاغُ**»[١١].

أما علم أولئك أنهم ـ في الحقيقة ـ يميتون قلوبهم ويضيعون حياتهم، قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «يا ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك».

أما علموا أنهم يقطعون أنفسهم عن الخير والرحمة ويحرمونها من الفضل والنعمة.

إن العاقل الحازم يعمِّر وقته ـ وبخاصة في شهر رمضان ـ بالعبادة والذكر وتلاوة القرآن المجيد، ويسارع في الخير والإحسان إلى العبيد، يكون على الخير مقبلا، وعن الشر ممسكا، وقد قال النبي ﷺ: «**وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ**»[١٢].

❊ اهرَدْنَا رمضان:

إذا تعب بعضُ الناس في شهر رمضان المبارك، قالوا: «اهردنا رمضان»، ويقول آخرون: «ما خَلَّى فِينا وَالُو»، ويقصدون التَّضجُّر من تعب الصَّوم ومشقَّته.

ولا يخفى أن هذه العبارة فيها سوء أدب ـ بغض النظر عن قصدهم ـ فهرد: شقَّ ومزّق[١٣].

إن هذه العبارة يقولها الكسالى الذين يستثقلون العبادة، ويستعملها البطالون الذين لا يكترثون للطاعة، إنهم لا يفهمون من الصيام إلا ترك الشراب والطعام، لذا يخافون من قدوم شهر رمضان، ويستثقلون صيامه، ويستطيلون أيامه، ألا يخشى أولئك أن يكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿**وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾**﴾ [التوبة: ٥٤].



سبحان الله! كيف يهدر رمضان الناس وقد جعل الله فيه النفحات والبركات، وأسبغ على عباده فيه النعم والخيرات.

قال تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾**﴾ [يونس: ٨٥]، وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه بمجيئه كما سبق في الحديث.

وقال بعض السلف: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم»[١٤].

❊ اللهم إني صائم:

ينبغي للصائم أن يكون مخبتا خاشعا لله رب العالمين، مجتنبا أعمال الجاهلين، قال ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ**»[١٥].

فيقول الصائم عند المشاجرة أو المشاتمة: «إني صائم إني صائم» أو يقول: «إني امرؤ صائم مرتين»[١٦].

يجهر بذلك في الفرض والنفل تنبيها إلى أنه غير عاجز على الرد، وتذكيرا للساب لعله ينزجر[١٧].

ومن الخطأ أن بعضهم يقول: اللهم إني صائم، يضيف كلمة «اللهم» وهي غير مذكورة في الأحاديث، والعبارة ليست دعاءً ولا توجها إلى الله تعالى وإنما هي خطاب للمخلوق.

❊ أيام الصابرين:

يقولون: «نصوم أيام الصابرين» ويقصدون ستة أيام من شوال التي قال فيها النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»[١٨].

ولا شك أن هذه الأيام لا يقدر عليها إلا الصابرون الموفقون، لكن هذه التسمية لا تثبت في السنة ولم ترد عن أحد من السلف، والمحدثون إذا ذكروا الحديث السابق ترجموا له بقولهم: «باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال»، وكذلك ذكرت في كتب الفقه.

ثم لا معنى لتخصيص هذه الأيام بالصبر؛ لأن الصوم كلّه صبر عن سائر المفطِّرات، وشهر رمضان أحق بهذه التسمية لقوله ﷺ: «**صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ، وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**»[١٩].

فنسمِّي هذه الأيام كما سماها النبي ﷺ: «ستًّا من شوال».

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٤١٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، انظر: «صحيح الأدب المفرد» للألباني (١٥٥).

(٢) انظر: «القول المفيد» للعثيمين (٢/ ٥١٥ ـ ٥١٨)، و«إعانة المستفيد» للفوزان (٢/ ٣١٣ـ ٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٤١٢١) ومسلم (١٧٦٨)، والمقصود سعد بن معاذ رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٥) «زاد المعاد» (١/ ٥٦).

(٦) رواه أحمد (٨٩٧٩) والنسائي (٢١٠٦)، وهو صحيح لغيره، «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (٩٩٩).

(٧) «الموافقات» (٣/ ٢٨١)، وانظر: «فضل علم السلف» لابن رجب (ص٣١).

(٨) «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٨٧).

(٩) رواه مالك (٦٩٤) والبخاري (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨).

(١٠) حديث حسن: أخرجه أحمد (١٢٧٠٥) وأبوداود (٢٣٥٦) والترمذي (٦٩٦)، انظر: «الإرواء» للألباني (٩٢٢).

(١١) رواه البخاري (٦٤١٢).

(١٢) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٣٢)، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (١/ ٥٨٥).

(١٣) «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٨١).

(١٤) «لطائف المعارف» لابن رجب (٢٣٥).

(١٥) رواه مالك (٧٥٢) والبخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

(١٦) أخرجه أحمد (٧٦٧٩) والبخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

(١٧) انظر: «الاختيارات الفقهية» (١٠٨)، «الأذكار» للنووي (١/ ٤٣٦)، «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ١٠٥)، «الشرح الممتع» للعثيمين (٦/ ٤٣٧).

(١٨) رواه مسلم (١١٦٤).

(١٩) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١٠٦٧٣) والنسائي (٢٤٠٨)، انظر: «إرواء الغليل» للألباني (٤/ ٩٩).





تذكرةٌ للصَّائم

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

«أيُّها الغافل عن فضيلة هذا الشَّهر! اعرف زمانك، يا كثير الحديث فيما يؤذي! احفظ لسانك، يا مسؤولًا عن أعماله! اعقل شانك، يا متلوِّثًا بالزُّلل! اغسل بالتَّوبة ما شانك، يا مكتوبًا عليه كلّ قبيح! تصفَّح ديوانك».

[«التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٧٣)]



من أحوال النَّاس في رمضان

قال العلَّامة محمَّد الخضر حسين رَحِمَهُ اللهُ:

«وإنَّه ليعظم في عينك الرَّجل بادي الرَّأي حتَّى تحسبه واحدًا من رجال الأمَّة، فما يروعك إلَّا وقد أخذ يسوق إليك حديث الأطعمة، ويشخص لك هيآتها يحلِّلها لك تحليلًا كيماويًا ثمَّ يطبخها بلسانه مرَّة أخرى».

[«مقالات لكبار كتاب العربية» (٣/ ٢٢٧)]



الصوم عبادة لا عادة

قال العلَّامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ:

«إنِّي أرى في كثير ممَّا اتَّخذنا من العادات في الصَّوم ما ينافي حقيقته، بل ما يحبط الأجر عليه، بل ما يزيد الإنسان إثمًا، فهمنا أنَّ معنى قيام اللَّيل، سهر اللَّيل، فصرنا نسهر في القهوات والنَّوادي، لا نفكِّر إلَّا في اللَّهو واللَّعب إلى ساعة متأخِّرة من اللَّيل، ثمَّ نأكل ما شاء الله أن نأكل، ثمَّ نصبح مرهقين متعبين، وقد ضاقت صدورنا، واضطربت أعصابنا، وساءت أخلاقنا، فلا يكاد اثنان يتحدَّثان، حتَّى ينفجر الغضب وتثور الثَّائرة، وتتدفَّق الألفاظ النَّابية، إلى ما ترون من حال كلُّكم تعرفونها، وقد تتعذَّرون لصاحبها بأنَّه صائم، ولا أستثني من ذلك أحدًا إلَّا من عصم الله».

[«جمهرة مقالات أحمد شاكر» (٢/ ٢٩٢)].

من هو الصَّائم

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ:

«والصَّائم هو الَّذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزُّور، وبطنه عن الطَّعام والشَّراب، وفرجه عن الرَّفَث؛ فإنْ تكلَّم لم يتكلَّم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كلُّه نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرَّائحة الَّتي يشمُّها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصَّائم انتفع بمجالسته، وأَمِن فيها من الزُّور والكذب والفجور والظُّلم، هذا هو الصَّوم المشروع لا مجرَّد الإمساك عن الطَّعام والشَّراب...؛ فالصَّوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشَّراب والطَّعام؛ فكما أنَّ الطَّعام والشَّراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابَه، وتفسدُ ثمرتَه، فتُصَيِّره بمنزلة من لم يصُم».

[«الوابل الصَّيِّب» (ص٤٣)]

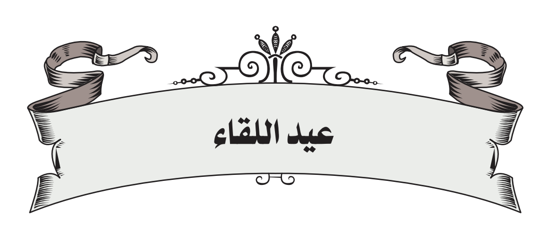


إحياء ليالي رمضان

قال البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ:

«يجب لليالي شهر رمضان المبارك أن تكون حية عند المسلمين لا بما هم عليه من السهرات الوقحة، واللهو الماجن، والشهوات القاتلة، فإن هذا النوع من الإحياء هو في حقيقته إماتة لحكمة الصوم وقتل لسره وخيره، ومحو لروحانيته وآثاره النافعة».

[«آثار الإبراهيمي» (٢/ ٢٩٣)].

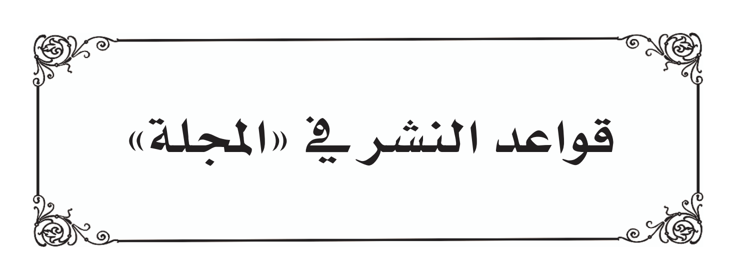


عيد اللقاء

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ:

«يا معشر التَّائبين صوموا اليومَ عن شهواتِ الهوى؛ لِتدركوا عيدَ الفطر يومَ اللِّقاء، لا يطولنَّ عليكم الأملُ باستبطاء الأجل؛ فإنَّ معظم نهار الصِّيام قد ذهب، وعيد اللِّقاء قد اقترب».

[«لطائف المعارف» (ص١٧٦)]



قواعد النشر في «المجلة»

١ ـ أن تكون الموضوعات مطابقة لخطة المجلة، وموافقة لمنهجها.

٢ ـ أن يكون المقال متسمًا بالأصالة والاعتدال.

٣ ـ أن يُحرَّر المقال بأسلوبٍ يحقق الغرض، ولغةٍ بعيدة عن التكلف والتعقيد.

٤ ـ الدقة في التوثيق والتخريج مع الاختصار.

٥ ـ أن تكون الكتابة على الكمبيوتر، أو بخطٍّ واضح مقروء؛ وعلى وجه واحد من الورقة.

٦ ـ ألا يزيد المقالُ على خمس صفحات.

٧ ـ أن يَذكر صاحبُ المقال اسمَه الكامل وعنوانَه ورقمَ هاتفه، ودرجتَه العلمية إن وُجِدَت.

٨ ـ المقالاتُ أو البحوثُ التي لا تُنشر لا تُرَدُّ لأصحابها.